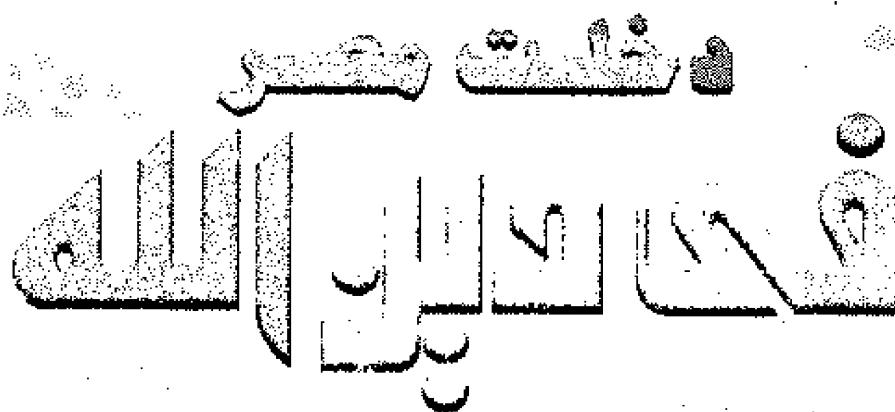
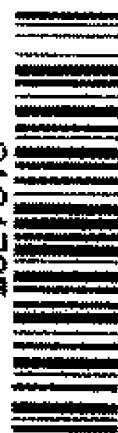


في  
التنوير الإسلامي  
«١٢»

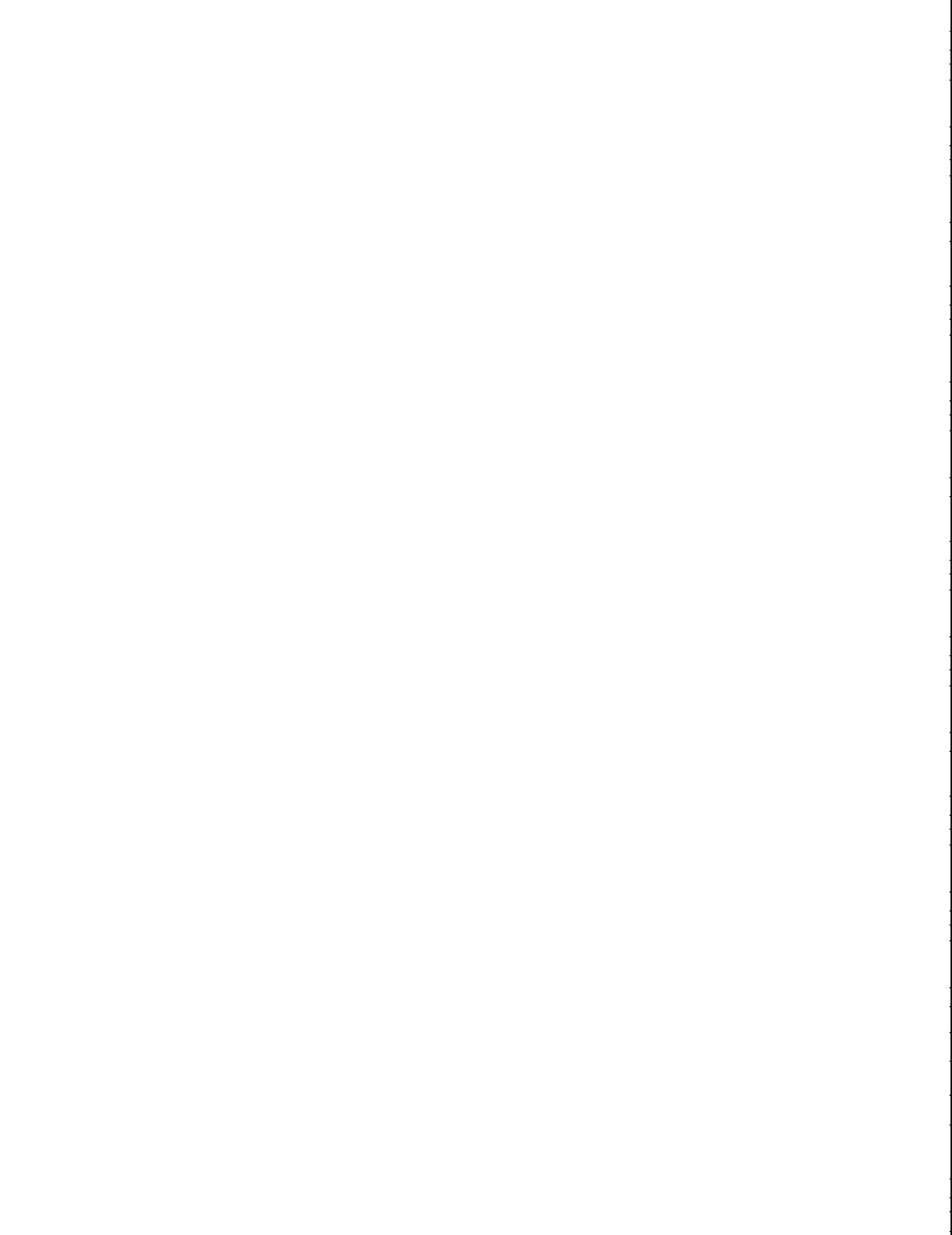


تأليف  
د. محمد عمارة

٦١٦٤٧٩٥



Bibliotheca Alexandrina



للسنة التاسعة للتنوير الإسلامي

# عند مادن العلوم في دين الله

تأليف  
د. محمد عسارة





اسناد في التصوير الاسلامي  
كتاب تأثيث مصوّر في الدين الله  
شاعر الكتب الدكتور / محمد عماره

تاریخ النشر: اکتوبر ۱۹۹۷

رقم الایداع: ۱۹۹۷/۲۷۳

الترقيم الدولي: I.S.B.N 977 - 0578 - 14

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والتشر والتوزيع

المركز الرئيسى: ۱۸، المقطعة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من اكتوبر

ت: ۰۲-۲۸۷-۲۲۹-۲۲۷-۰۱

فاكس: ۰۱۱/۲۲۰-۲۹۱-۱۱

مـركـز التـوزـيع: ۱۸، شـكـامـل صـبـقـى - الـفـجـالـة - الـقـاهـرـة

ت: ۰۹-۹۸۲۷-۵۹۰-۸۸۹۰-۰۲

فاكس: ۰۹-۲۳۹۰-۰۰۲

ادارة التـشـرـع: ۲۱، شـشـاحـمـد عـرـابـى - الـهـنـدـسـى - الـقـاهـرـة

ت: ۰۲-۲۶۲۲۴۲۴-۲۶۷۴۸۷۴-۰۲ فـاـكـس: ۰۲/۲۴۶۲۵۷۶

## فِي مَصْرَ الْتَّوْحِيدِ وَالنَّبِيُّوْاتِ

### فِي مَصْرَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ

بَادِمٌ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَدَأَتْ مَسِيرَةُ الْإِنْسَانِ عَلَى هَذَا الْكَوْكَبِ  
الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ .. فَهُوَ أَبُو الْبَشَرِيَّةِ ، الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ وَسَوَاهُ وَنَفَخَ  
فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ..

وَلَطْفَهَا مِنَ الْخَالِقِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِحَلْقِهِ ، افْتَرَنَتِ الرَّعَايَا  
الْإِلَهِيَّةُ لِهَذَا الإِنْسَانِ بِلَحْظَاتِ الْخَالِقِ وَالْاسْتِخْلَافِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ  
وَالْتَّكْلِيفِ :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا  
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نَسْبِحُ بِحَمْدِكَ  
وَنَقْدِسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلِمَ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا  
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِالْأَسْمَاءِ هُؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ  
الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِالْأَسْمَاءِ فَلَمَّا أَنْبَاهُمْ بِالْأَسْمَاءِ قَالُوا  
أَلَمْ أَقْلِ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا  
كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ . . .

(١) البقرة ٤٠ - ٤٢ .

ويوحى الله لأدم .. عليه السلام - بدأت النبوة والرسالة ، في المسيرة الإنسانية ، مقتربة بلحظة استخلاف الله لهذا الإنسان ، وتتكليفه إياه .. \*

وإذا كان أدم هو أبو البشر ، وأول الأنبياء ، وفاتحة المرسلين .. فإن مشيَّة الله قد اصطفت مصر - كنائنة الله في أرضه - لتبدأ على أرضها هداية النبوة والرسالة منذ عصر وحياة أدم - عليه السلام - ففي ريوتها كانت بعثة نبي الله إدريس - عليه السلام - الذي مثل ، في سلسلة النبوة ، ثالث الأنبياء ، بعد أدم وشيث ، والذي عاش وبعث في حياة أدم . عليهم جميعاً الصلاة والسلام

وعن إدريس ونبيته تحدث القرآن الكريم فقال :

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعَاهُ مَكَانًا عَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup>

وعن ترتيبه وسبقه على درب النبوة والرسالة ، ومن ثم سبق مصر على درب الاصطفاء هذا ، يتحدث الذين كتبوا قصص الأنبياء . ! فيقول الحافظ ابن كثير (٧٠١ - ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م) - في (البداية والنهاية) - عن إدريس ، عليه السلام : «إنه كان أول من أدى النبوة بعد جده أدم وبعد شيث ، عليهما السلام» ..

وعن معاصرته لأدم ، يقول ابن إسحاق (١٥١ هـ ٧٦٨ م) : «إنه أدرك من حياة أدم ثلاثة عشر سنة وثمان سنين ..»<sup>(٢)</sup>

(١) من : ٥٦، ٥٧.

(٢) الشيخ عبد الوهاب النجاشي (قصص الأنبياء) ص ٢٤ ، طبعة بيروت - الثالثة - دار إحياء التراث العربي

ومعنى ذلك ، أن مصر قد دخلت في دين الله ، وعرفت التوحيد ، وحبا إلهها – لا وضعا بشريا وإفرازا إنسانيا – وتلقت علم النبوة ، واحتضنت الرسالة السماوية منذ فجر الإنسانية ، وفي حياة أبي البشر آدم - عليه السلام - .

بل إن ما يبقى لنا من قصص نبي الله ورسول مصر إدريس - عليه السلام - ليسوا بمحاجة بأن هذا العمق الحضاري والسبق في التمدن ، اللذين تميزت بهما مصر قبل سائر الحضارات ، إنما كانت لهما عروة وثني بعلم النبوة الذي جاءها به رسولها إدريس - عليه السلام - .

فمنذ فجر الإنسانية ، تميزت الرسالة التي شرفت بها مصر ، بعلوم : الحكمـة ، والتـمدن ، والـسياسة المـدنـية ، وـعلوم الكـون ، الـأرضـية منها والـسماوـية ، إلى جانب عـلوم الشـرـع والـديـن .. حتى ليـتـحدث الـذـين أـرـخـوا لـلـحكـمـة والـحكـماء – وـمـنـهـم الـقـفـطـي ، جـمـال الـدـين أـبـي الـحـسـن عـلـى بـن يـوسـف (٥٦٨ - ١١٧٢ هـ) – صـاحـب كـتـاب (تـارـيخ الـحـكـماء) – وـابـن جـلـجل – دـاـود بـن حـسـان (بـعـد ٩٨٢ هـ) – صـاحـب كـتـاب (طـبـقـات الـأـطـيـاء وـالـحـكـماء) – عن هـذـه الـأـبعـاد الـعـلـمـية وـالـحـضـارـية فـي رـسـالـة رـسـول الله وـنـبـي مـصـر إـدـرـيس فـيـقـولـون : «إـنـه أـقـامـ وـمـنـ مـعـهـ مـصـرـ، يـدـعـو الـخـلـاثـقـ إـلـى الـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـنـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ وـطـاعـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ» .. وـرـسـم لـهـ تـمـدـينـ الـمـدـنـ، وـجـمـعـ لـهـ طـالـبـيـ الـعـلـمـ بـكـلـ مـدـيـنـةـ، فـعـرـفـهـمـ الـسـيـاسـةـ الـمـدـنـيـةـ، وـقـرـرـ لـهـمـ قـوـاـدـهـ .. وـعـلـمـهـمـ الـعـلـمـ. وـهـوـ أـوـلـ مـنـ اـسـتـخـرـجـ الـحـكـمةـ، وـعـلـمـ الـنـجـوـمـ،

فإن الله عز وجل أفهمه أسرار الفلك وتركيبه ، ونقط اجتماع الكواكب فيه ، وأفهمه عدد السنين والحساب . . .<sup>(١)</sup>

ففي مصر بدأت بواكير التوحيد في الألوهية ، وحياناً سملواها ، منذ عصر آدم - عليه السلام - . وكما علم الله آدم الأسماء كلها ، أوحى - سبحانه وتعالى - إلى نبي مصر إدريس علوم الحكمة والتمدن والسياسة المدنية وحقائق العلوم الطبيعية ، فتعلمتها لمصريين ، لتنتوصل ومضات التوحيد الدين مع عبقرية العلوم الحضارية على أرض مصر ، جيلاً بعد جيل - صعوداً تارة وهبوطاً تارة أخرى - . منذ فجر الإنسانية والتي أن دخل أهلها - بالفتح الإسلامي لأرضها - . في دين الله أتواها ، وذلك عندما اكتمل وتم دين الله الواحد بنبوة ورسالة وشريعة محمد بن عبد الله ، عليه وعلى كل الأنبياء والرسل أفضل الصلاة وأذكى السلام .

\* \* \*

وعبر هذا التاريخ المصري - الذي هو أطول وأعرق ما حفظت ذاكرة الإنسانية من التاريخ - ظلت ومضات التوحيد الدين في مصر شاهدة على انتقام المصريين إلى دين الله . ولقد تمثل ذلك فيمن زارها وعاش فيها من الأنبياء والمرسلين . . وفيمن ولد فيها ونشأ ويعث منهم - من قص الله علينا قصصهم في القرآن الكريم - . . وأيضاً في حكمائها ، الذين جددوا الدعوة إلى التوحيد ، ورفعوا راياته في مواجهة طوارئ الوثنية - والذين قد يكونون أنبياء ورسلاً من لم يرد ذكر لأسمائهم في القرآن الكريم :

(١) المصادر السابق من ٢٥، ٢٦ نقلًا عن (أحسن الحكماء) للقسطلاني . وانظر كذلك (طبقات الأنبياء والحكماء) لابن حلحل ص ٥، ٦ . تحقيق فؤاد سعيد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م .

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا  
 إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى  
 وَأَيُّوبَ وَيوُوسُ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاؤُودَ رُورَا (١٦٣) وَرَسُولًا  
 قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَمُ اللَّهِ  
 مُؤْسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لَهُمْ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى  
 اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ (١)

• فيallo مصر رحل إبراهيم الخليل - عليه السلام - وهو أبو الأنبياء - وكان ذلك في عصر الهكسوس (١٦٧٥ - ١٥٨٠ ق.م.) - . ومن بنات مصر - هاجر ، عليها السلام - أنجيب نبي الله ورسوله اسماعيل ، عليه السلام ، الذي هو أبو العرب العدنانيين . . . فبمصر ارتبط أبو الأنبياء .. وأحد أولى العزم من الرسل . . والخليل الذي وصفه القرآن «بالصديق» ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِيقًا نَّبِيًّا﴾ (٢) .. ورفع لواء التوحيد في مواجهة

### الشرك وعبادة الأصنام

• وللو مصر جاء يوسف - عليه السلام . . . وفيها أوحى إليه ربه ، وبها بلغ الرسالة .. وعمل وساس وأصلح .. وكان ذلك على عهد الأسرة الخامسة عشرة - التي يبدأ حكمها سنة ١٦٧٥ ق.م . . ﴿يُوسُفُ أَيَّهَا الصَّدِيقُ أَفْتَنَاهُ فِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَا كَلْهُنْ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعَ سَبْلَاتٍ خُضْرٍ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّي أُرْجِعُ إِلَى النَّاسِ

لَعْلَهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَرَرَّعُونَ سَبْعَ سِينَ دَآبَا فَمَا حَصَدْتُمْ فَلَدَرُوهُ  
 فِي سُبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مَمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ نَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شَدَادُ  
 يَأْكُلُنَّ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مَمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ  
 ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) (١) وَقَالَ الْمَلَكُ  
 أَتَتُوَسِّيْ بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ  
 أَمِينٌ (٥٠) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى حَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلِيمٌ (٥١)  
 وَكَذَلِكَ مَكَانًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبُ  
 بِرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٢) (٢)

• وباستدعاء من يوسف ، جاء إلى مصر وعاش فيها ، وعبد الله ودعا إليه نبي الله يعقوب ، وعدد من بناته ..

• وفي مصر ارتفعت دعوة التوحيد في مناجاة «أمنحتب الثالث» (١٣٩٧ - ١٣٦٠ ق.م) لله الواحد الأحد

(أيها الموجِد دون أن تَوْجَد ،

مَصْوُرٌ دون أن تَتَصَوَّر ،

هادِي الْمَلَائِكَةِ إِلَى السَّبِيلِ ،

الْخَالِدُ فِي آثارِهِ الَّتِي لَا يَحِيطُ بِهَا حَصْرٌ .)

• وفي رسالة التوحيد التي دعا إليها «أمنحتب الرابع ..

إختاتون (١٣٧٠ - ١٣٤٩ ق.م) :-

(أنت إله ، يا أوحد ، ولا شبيه لك . . . )

لقد خلقت الأرض حسبما تهوى ، أنت وحدك .

خلقتها ولا شريك لك . . .  
 أنت خالق الجرثومة في المرأة .  
 والذى يدرأ من البذرة أناسا .  
 و يجعل الولد يعيش فى بطن أمه ،  
 مهدئا إياه حتى لا يبكي ،  
 ومرضعا إياه حتى في الرحم .  
 وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته ،  
 حينما ينزل من الرحم في يوم ولادته ،  
 وأنت تفتح فمه تماما ،  
 وتنمجه صروريات الحياة .)

- وعند رمسيس الثاني (١٢٩٠ - ١٢٢٣ ق.م) - الذي أخذ العلم والحكمة والأخلاق من تراث نبي الله إدريس ، عليه السلام .
- وفي مصر ولد ونشأ وتعلم نبي الله موسى . . . وأنحوه هارون ، عليهمما السلام . . وأوحى الله إليهم ، وأنزل عليهم التوراة والألواح - (حوالي ١٢٠٠ ق.م) - بالهieroGlyptic . . لغة المصريين . . . فجاءتهم حرية التوحيد عبودية الفرعونية على ضفاف وادي النيل . .
- ليتجدد ويستطيع إشعاع التوحيد عند رمسيس الثالث - الأكبر - (١١٩٢ - ١١٦٠ ق.م) ، الذي قال - عندما احتدم القتال بينه وبين الوثنين في معركة «قادش» :-  
 (رأيت الله في المعركة .  
 كان أقرب إلى من جنودي .  
 هو الذي نصرني .)

- حتى لقد غدت شريعة السماء وعقيدة التوحيد روحًا سارية في الثقافة المصرية ، تغلب «غبشن الشرك والوثنية» عبر التاريخ

المصرى الطويل ، فتعكسها وتحبسها شهادة المصرى ، يوم الحساب ،  
بين يدى الواحد الأحد - كما جاء فى (متون الأهرام) - :  
  
أنا لم أشرك بالله .  
أنا لم أعق والدى .  
أنا لم ألوث ماء النيل  
أنا لم أصد الماء فى موسم جريانه ،  
ولم أقم سدا فى مجراه .  
أنا لم أنقص القياس .  
ولم أطفف الميزان .  
أنا لم أطرب الماشية من مراعيها .  
أنا لم أتسبب فى بكاء أحد .  
أنا لم أحرم إنسانا من حق له .  
أنا لم أختطف اللبن من فم الرضيع .  
أنا لم أطعن شعلة فى وقت الحاجة إليها .  
أنا لم اعترض على إرادة الله .. )

• ولـى مصر، بـجا المسـيع عـيسـى ابن مـريم ، مع أـمه - سـيـلة نـسـاءـ العـالـمـين - طـلبـا لـلـآـمـن ، وـنجـاةـ من طـلبـ «ـهـيـرـودـسـ» (ـعـقـ.ـمـ - ـ٣ـ٩ـ) .ـ الذـى أـرـادـ أـن يـقـتـلـهـ .ـ .ـ .ـ وـفـى مـصـرـ ، وـعـلـى إـحـدى رـبـاـهاـ ، وـجـدـواـ الـآـمـنـ وـالـقـرـارـ (ـوـجـعـلـناـ اـبـنـ مـرـيمـ وـأـمـهـ آـيـةـ وـأـوـتـاهـمـاـ إـلـىـ زـيـوـةـ ذـاتـ

قرار و معین

(١) المؤمنون :

و عندما جدد المسيح رسالة التوحيد ، وأعاد الروح إلى الشريعة  
— بعد أن تحول التوحيد إلى «وثنية . ومادية» على يد اليهود —  
احتضنت مصر على الفور دين التوحيد ، الذي بشر به عيسى ،  
عليه السلام ..

● فلما انحرفت الدولة البيزنطية - والجامع التي انعقدت في  
المدن البيزنطية - «مجمع نيقية سنة ٣٢٥م» و «مجمع القسطنطينية  
سنة ٣٨١م» بتوحيد النصرانية إلى «الثلث» .. خافت مصر  
معركة الدفاع عن التوحيد . وذلك عندما رفعت «الأريوسية» -  
نسبة إلى «أريوس» - أسقف الإسكندرية (٢٥٦ - ٣٣٦م) - ..  
رفعت لواء التوحيد في الألوهية ، وذلك عندما تمسكت بأن الله  
جوهر أزلٍ أحد ، لم يلد ولم يولد ، وكل ماسواه مخلوق ،  
حتى «الكلمة» فإنها ، كغيرها من المخلوقات ، مخلوقة من  
لاشيء . وأن المسيح لم يكن قبل أن يولد .. وأن الله قد نجا  
من الصليب - الذي وقع على الشبيه - ..

ولقد حفظت مصر كل هذا الفكر التوحيدى ، حتى بعد أن  
طفت عقائد قانون الإيمان البيزنطى على أغلب كنائس النصرانية ،  
فضمنت «محظوظات نجع حمادى» - التي اكتشفت سنة ١٩٤٧م -  
أقدم الأنجليل التي حفظت نقاء التوحيد النصراني - «إنجيل  
توماس» و «إنجيل مرم المحدثة» و «إنجيل فيليب» و «إنجيل بطرس»  
و «إنجيل المصريين» - وغيرها - وفيها ثلاثة وخمسون نصا ، تقع في  
١١٥٣ صفحة ، جمعت في ثلاثة عشر مجلدا تجسد شهادة

التاريخ على ولاء المصريين لعقيلة التوحيد ، كما مثلتها النبوات والرسالات السماوية التي تعاقبت على ضفاف النيل ..

وإذا كانت هذه الأنجليل قد نجت من الدمار الذي أصاب به البيزنطيون تراث التوحيد النصراني ، عندما أحرقوا مكتبة معبد «سرابيوم» - بالإسكندرية - وغالبية مخطوطات مكتبة الإسكندرية ، وأغلقوا أبوابها ، بعد قتل آخر عميد لها .. فإن بقاء هذه الأنجليل - التي سبق تاريخ تدوينها تاريخ تدوين الأنجليل المشهورة - متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا - بعشرين عاما - قد فتح الباب لإعادة كتابة هذا التاريخ ، الذي يتميز فيه دور مصر - صاحبة أول كنيسة نصرانية - على درب التوحيد الديني ، منذ عصو آدم - ونبي مصر إدريس - وحتى رسالة المسيح ، عليهم جميعا الصلاة والسلام .<sup>(١)</sup>

---

(١) انظر في حقائق هذا التاريخ الدينى لمصر . (قصص الأنبياء) ص ٤٤-٩٢-١٢٠، ٩٢-١٤٤، ١٥٥، ٢٠٢-٢٨٦، ٣٠٢ . ورقة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) ج ٢ ص ٨٠ دراسة وتحقيق د. محمد عمار ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م ود عبد المعمود أبو سكر (اختهانون) ص ٩٧، ٩٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦١م . ود. فؤاد حسین على (التوراة الهيروغليفية) طبعة القاهرة دار الكتاب العربي . وفؤاد أهرام البستانى (دائرة المعارف) المجلد الأول . طبعة بيروت سنة ١٩٥٦م ود. نعمات أحمد فؤاد ، صحيفة (الأهرام) في ١٠/٣٠ ١٩٩٦م . و (الموسوعة الأثرية العالمية) - إشراف ليوبولد كورتيل - ترجمة د. محمد عبد القادر محمد ، د. زكى إسكندر طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م . ود. أحمد عثمان «مخطوطات لمح حمادى - أصوات جديدة على تاريخ المسيح» ، محلة (الهلال) علد يومية سنة ١٩٩٥ .

## مصر تحت القهر الديني والحضاري

على امتداد نحو ألف سنة - ما بين غزو الإسكندر الأكبر (٣٢٤ ق. م) لمصر (٣٣٢ ق. م) والفتح الإسلامي لها (١٤٠ هـ) - تعرضت مصر لمحنة عظمى وقهر شديد شمل جميع ميادين الدنيا والدين ! ..

● فعاصمتها «منف» التي كانت رمزاً لوحدتها واستقلالها وعزتها ، منذ أن بناها الملك «مينا» (الألف الرابع قبل الميلاد) - بعد صراع مع الطبيعة حولت فيه مصر مجرى النيل العظيم ، قبل الميلاد بنحو ٣٤٠٠ عام .. هذه العاصمة - التي ارتبطت بهوية مصر ، ورمزت لاستقلالها - أهملها الغزاة الإغريق .. وينى الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق. م لتكون العاصمة الأجنبية الاستعمارية لمصر المستعمرة ! .. ولقد سار الإغريق فى هذا الأمر على درب الغزاة الهكسوس (١٦٧٥ - ١٥٨٠ ق. م) الذين اتخذوا لاستعمارهم عاصمة ترمر للاحتلال والاختصاب - هي مدينة «أواريس» - وأهملوا العاصمة الوطنية لمصر والمصريين ..

● والحضارة المصرية القديمة ، ذات الطابع الشرقي ، التي جمعت مابين الدين والدنيا ، وزاوجت بين العلوم النظرية والعملية ، وأتحت بين تمدن الواقع وتهذيب النفس ، وقدست العمل اليدوى والذهنى جمیعاً ، وعرفت «دين - الحكمة» و«الحكمة - المتدينة» منذ نبوة إدريس - عليه السلام - في فجر الإنسانية ..

هذه الحضارة قهرتها وطوت صفحاتها الحضارة الإغريقية ، في صورتها الهلينية ، تلك التي افتقدت ذلك التوازن الذي تميزت به الحضارة المصرية الشرقية .

• واللغة المصرية ، تلك التي ارتفعت عن أن تكون مجرد أداة تعبير وتحاطب ، وذاكرة الأمة ، والحافظة لتراثها الأغنى ، ارتفعت إلى حيث تقدست – في إحدى صورها – عندما ارتبطت بالدين وكهنته وعلمه .. هذه اللغة المصرية زاحمتها اللغة اليونانية الغازية فطردتها من الساحة ، حتى غلت عملة ليس لها رواج ، فطويت صفحة أبيجديتها الخاصة لحساب الأبجدية اليونانية ، وأضطر «الكتبة المصريون» ، منذ حكم الملوك البطالمة الإغريق ، إلى استعمال الحروف اليونانية لكتابة لغتهم المصرية .. ولم يبق من حروف اللغة المصرية إلا سبعة أحرف لم يجدوا لها نظيرًا في الأحرف اليونانية » .. بل وتجاوزت الهزيمة ميدان الحروف إلى ميادين القواعد والكلمات والمصطلحات ! ..<sup>(١)</sup>

• والدين ، الذي هو أعز ما يطلب ، وأغلى ما يُملّك ، وأعظم نعم الله على الإنسان .. والذى ارتبط ، في مصر ، بفجر الإنسانية ، وعراقة الحضارة – منذ عصر آدم عليه السلام ، في رسالة إدريس عليه السلام – هذا الدين ، الذي استمرت إشعاعاته وومضات التوحيد فيه ماضية ومتواصلة ، تفأlib غيش الوثنية وعدوان الشرك على مر تاريخ المصريين .. والذى جعل المصريين ، بقيادة «جماعة العارفين» من أسبق الشعوب إلى احتضان النصرانية في صورتها النقية التوحيدية .. هذا الدين قد تعرض

---

(١) د. أحمد عثمان مجلة (الهلال) عدد يونيو سنة ١٩٩٥ م.

إلى القهر البيزنطي الذي سالت فيه الدماء أنهاراً.. حدث ذلك عندما كان الرومان المستعمرون لمصر وثنين ، حتى لقد أصبح هذا القهر الوئي للنصرانية المصرية «إبادرة» قادها الإمبراطور الروماني «دقليانوس» (٢٨٤ - ٣٥٠ م) ، الذي أرخ المصريون بعهده عندما أطلقوا عليه «عصر الشهداء»! ..

بل إن هذا القهر الديني ، الذي مارسه البيزنطيون ضد النصرانية المصرية ، لم يتوقف باعتناقهم للنصرانية – التي يتدين بها المصريون – فلقد طوعوا النصرانية لخسارتهم الإغريقية فاختلت «نصرانية بولس» عن «نصرانية المسيح»! . وبعبارة إمام المعتزلة قاضي القضاء عبد الجبار بن أحمد الهمданى (٤١٥ هـ ١٠٢٤ م) : «فإن النصرانية عندما دخلت روما لم تتنصر روما ، ولكن النصرانية هي التي ترُوَّمت»! ..

فاستمر اضطهاد كنائس روما والجماع البيزنطية – التي استبدلت التثليث بالتوحيد النصراني – استمر اضطهادها للنصرانية المصرية الموحدة ، حتى اصطرب المصريون إلى دفن آنابجيل التوحيد – داخل «زلعة» – في مقابرهم «بنجع حمادي»! ..

وحتى بعد أن قبلت الكنيسة المصرية وتبنّت التثليت – الذي فرضه قانون الإيمان البيزنطي على كل الكنائس ، منذ مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م – ظلت المقاومة المصرية لذهب بيزنطة ملحوظة ، تشير حقد البيزنطيين .. فلقد دهبت الكنيسة المصرية مذهبًا متميزة في طبيعة المسيح وجعلت التراث المصري القديم – في قصة إيزيس وحورس وأوزوريس – منطلقاً لتميزها في التثليت ،

وأتحذت من «مفتاح الحياة» — المصري القديم — رمزاً يشبهه الصليب، لكنه ليس هو في صورته البيزنطية! .. وبنـت كنائسها وفق المعمار الفرعوني، لا البيزنطي! .. ووظفت هذا التمايز في النسق القومي المتميز والمقاوم للقهر الحضاري والقومي والديني الذي يعارضه البيزنطيون إزاء المصريين .. الأمر الذي أداه الاصطهاد البيزنطى لمصر والمصريين فى ظل «الجامع النصرانى» كما كان حاله فى «ظل «التمايز الوثى - النصرانى»! .. فسار الإمبراطور الرومانى «جستنيان الأول» (٥٢٧ - ٥٦٥ م) على درب «دقلييانوس»، فقتل ٢٠٠,٠٠٠ قبطى فى الإسكندرية وحدها .. ومن ثمجاً من القتل هرب إلى الصحراء .. حتى لقد انسحبـت النصرانية المصرية من الحياة المدنية إلى المفارقات والكهوف فيـ مـفـازـاتـ الصـحـارـى المصرية، مخلفةـ حتىـ كـنـائـسـهاـ التـىـ اـغـتـصـبـهاـ بـيـزـنـطـيـوـنـاـ! .. الأمر الذى جعل مصر - الوطن والدولة والسيادة واللغة والدين والحضارة - عندما ظهر الإسلام (سنة ٦٤١ م) - «فراغاً حضارياً» .. بل «مواتاً حضارياً» - إذا جاز التعبير - قد قهرـ الرومانـ فيهاـ أـغلـبـ سـمـاتـ وـقـسـمـاتـ «الـانتـمامـ»ـ التـىـ مـيـزـتـ المـصـرـيـنـ عـبرـ تـارـيخـهـمـ العـرـيقـ.ـ فـكـانـ هـذـاـ «ـالـفـرـاغـ الـحـضـارـىـ»ـ هـوـ العـامـلـ الأولـ والـسرـ الأـعـظـمـ وراءـ انـخـراـطـ مـصـرـ فـيـ الدـوـلـةـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ ثـمـ فـيـ الدـيـنـ الـإـسـلـامـيـ وـالـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ وـالـحـضـارـةـ الـإـسـلـامـيـةـ عـلـىـ نـحـوـ مـنـ الـعـقـمـ وـالـشـمـولـ نـادـرـ الـحـدـوـثـ فـيـ غـيـرـهـاـ مـنـ الـأـقـطـارـ التـىـ فـتـحـهـاـ الـإـسـلـامـ! ..

فـلـمـ تـقـفـ مـصـرـ الـإـسـلـامـيـةـ عـنـ حدـودـ الـانتـمامـ لـالـإـسـلـامـ

كدين ودولة ، وإنما تبؤات مكانتها الريادية ، حتى لكانها هي صاحبة هذا الدين ، والأمينة عليه ، والحارسة له فكانت دولتها هي الحامية لدولة الإسلام .. وكانت عريتها — حتى في لهجتها العامية — الأقرب إلى لغة القرآن وكان اعتدالها في التدين هو الأقرب إلى وسطية الإسلام .. وكان إيداعها المتميز في مختلف العلوم الإسلامية ، الشرعية منها والمدنية ، آية على أنها قد «عاشت» الإسلام ، واتخذته «رسالتها» ، ديناً ودولة ، ولغة وثقافة ، وعلمًا وحضارة ، وقومية وعزة ، بكل ما يعنيه ذلك في سائر ميادين العلم والعمل والإبداع والانتقام .. لقد جاءها الإسلام وهي «فراغ وموات حضاري» ، فصلاً الإسلام هذا الفراغ وأحيا هذا الموات

وبذلك .. ولذلك استعادت مصر الإسلامية «عريتها الحضارية» ، عندما دخلت في الإسلام ، الذي هو ثام الدين الإلهي الواحد ، الذي عرفته وانتسبت إليه منذ فجر الإنسانية ، عندما استجابت إلى دعوة نبي الله ورسوله إدريس — عليه السلام — ..

لقد وجدت في شريعة محمد ﷺ كمال واكمالاً توحيد إدريس — ومن سار على دربه من أنبيائها وحكمائها — ووجدت في دولة الإسلام التحرير من قهر الرومان البيزنطيين .

## الفتح التحصيري لمصر بالاسلام

ظهر الاسلام (سنة ٦٤٠ م) والشرق واقع في قبضة الاستعمار والهيمنةتين ما رسمتهما قوى نظام عالم ذلك التاريخ : الفرس الساسانيون ، والروم البيزنطيون ..

• فالفرس فرضوا سلطانهم وهيمنتهم على مشرق البلاد العربية ، العراق والخليج ، حتى لقد بناوا «إيوانهم» في «المدائن» العربية ، واستلحقوا العرب المناذرة أتباعاً ووقوداً في صراعهم الطويل مع الروم البيزنطيين ..

• والروم البيزنطيون ورثوا استعمار الشام ومصر وشمال افريقيا ، منذ غزوة الاسكندر الاعظم .. أي قبل نحو من ألف عام واستلحقوا عرب الشام - الغساسنة - أتباعاً ووقوداً في حروبهم مع الفرس .. بل وأوزعوا إلى الحبشة ، التي احتلت اليمن ، لتشيل استقلال وسط شبه الجزيرة العربية ، وتهدم الكعبة والبيت العتيق - الذي ظل وحيداً وفريداً «حراماً .. عتيقاً» في شرق ذلك التاريخ ! ..

لكن إرادة الله - سبحانه وتعالى - قد شاعت أن يكون ظهور الاسلام الدين تحولاً حضارياً ، يزيح هيمنة الفرس والروم عن الشرق ، ويحرر شعوبه المستعبدة ، ويغير مجرى التاريخ .

• ففي ذات العام الذي ولد فيه رسول الاسلام - محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - (سنة ٥٧١ م) - ينهزم الاحباش وقادتهم أبرهة في غزوة الفيل (ألم ترَ كيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْنَابِ

الفيل (١) ألم يجعل كيدهم في تضليل (٢) وأرسل عليهم طيراً  
أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤) فجعلهم كعصف  
ماكول (٥) .. فبدأ الإعجاز الإلهي مقدمات التحولات التي  
ستغير قيادة الحضارة وجري التاريخ .

• وبعد هزيمة عزوة الفيل ، وهلاك أبرهة الحبشي ، انتفضت  
اليمن فتحررت ، بقيادة سيف بن ذي يزن (٥١٦ - ٥٧٤م) لتعود  
الصلات والتجارات بين العرب – في شمال الجزيرة ووسطها  
وجنوبها – ولتنعقد أواصر التحالف والتضامن بين حكومة مكة –  
بقيادة عبد المطلب بن هاشم (٥٠٠ - ٥٧٩م) – وبين حكومة  
الاستقلال في اليمن ..

• وفي ذات العام الذي انبثق فيه نور الوحي بكتاب الإسلام ،  
القرآن الكريم (٦١٠م) ، يحدث أول التصارع للعرب على الفرس في  
تاريخ هذا الصراع ، في «يوم ذي قار» ..

• فلما قامت لإسلام دولة ، بالهجرة من مكة إلى المدينة  
(سنة ٦٢٢هـ) ، وأضطرت قوى الشرك العربي ، في صلح  
الحدبية (سنة ٦٢٨هـ) إلى الاعتراف بأمة الإسلام ودولته ،  
ودانت القبائل العربية بالولاء للدين الجديد والدولة الفتية ،  
توجهت سياسة الإسلام إلى الدائرة الخارجية ، بالدعوة أولاً إلى  
دين الله بالحكمة والوعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ،  
فانتهت بذلك طريق تحرير الشرق من استعباد الفرس والروم ..  
فخرجت رسول الله ﷺ (سنة ٦٢٨هـ) بكتبه ورسالته

إلى كسرى فارس ، وقيصر الروم ، وبجاشي المحبشة ، ومقوقس مصر ،  
 والى رؤساء وأقیال وأمراء القبائل والعشائر والولايات في الأطراف .  
 ويلفت النظر ذلك المغزى ذي الدلالة الكبرى في تعامل رسول  
 الله ﷺ مع مصر ، منذ اللحظة الأولى التي أرسل فيها رسوله  
 حاطب بن أبي بلتعة (٣٥ق.هـ - ٥٨٦هـ - ٦٥٠م) بكتابه إلى  
 مصر .. فالإسلام لم يعترف بأن مصر هي شأن من شؤون الروم  
 البيزنطيين - رغم خصوصها لاستعمارهم منذ ما يقرب من ألف  
 عام .. فكما أرسل الرسول ﷺ في شأن الروم ، كتابه إلى  
 «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١م) - وحمله الصحابي دحية الكلبي (٤٥هـ  
 - ٦٦٥م) .. تحدث الرسول إلى المصريين في شأنهم ، ولم  
 يعتبرهم شأنًا روماً بيزنطياً .. فأنزل رسوله حاطب بن أبي  
 بلتعة إلى المقوس ، «عظيم القبط» - والذى كان يقيم فى  
 «منفيه» ، العاصمة التاريخية والوطنية للمصريين .. ولم  
 يذهب حاطب ، في شأن مصر ، إلى العاصمة البيزنطية  
 للاستعمار الرومانى بصرى - الإسكندرية - ولا إلى «سيرس» ،  
 بترك الروم .. ويلفت النظر إلى هذه الحقيقة التاريخية ، ذات  
 المغزى التحريرى الهام الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبد الله (١٢٦٥ -  
 ١٣٢٣هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) عندما يقول : «إن النظرية القائلة بأن  
 «المقوس» هو «سيرس» بطريق الإسكندرية ، نظرية خاطئة . إن  
 المقوس قبطى ، وهو حاكم منفيه ..»<sup>(١)</sup> ..

**فمنذ اللحظة الأولى ، رفضت السياسة الخارجية للدولة**

---

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبد الله) ج-١ ص ٨٣٢ ترجمة وتحقيق: د. محمد  
صقار طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣ م

الإسلامية الاعتراف بالأمر الواقع ، الذي تمثل في هيمنة قطبي نظام عالم ذلك التاريخ - الفرس والروم - على الشرق والشريقيين .. ولم يكن خطاب الرسول ﷺ في شأن مصر والمصريين ، مع «ال mocques » عظيم القبط ، وفي العاصمة الوطنية مصر - وليس مع «هرقل» في «القسطنطينية» ، ولا مع بطريرك الروم في «الإسكندرية» - لم يكن ذلك الموقف في السياسة الخارجية الإسلامية استثناء ، وإنما كان موقفا عاما ، رافقا الاعتراف باستعمار الفرس والروم للشرق والشريقيين .. فكانت رسول الله ﷺ يحملون كتبه إلى الولاة والقادة العرب - من الغساسنة والمناذرة - الخاسعين لسيطرة الروم والفرس حتى ذلك التاريخ .. فيالي ملك «البلقاء» بالشام الحارث بن أبي شمر العساني ، ذهب شجاع بن وهب الأسدى .. كما ذهب سليمان بن عميرة إلى العلاء بن الحضرمي ، ملك البحرين ..<sup>(١)</sup> .. وإلى غيرهم من القادة الوطنيين .. فتوجه الخطاب الإسلامي في الشؤون الشرقية إلى الشعوب المستعمرة وقياداتها الوطنية ، وليس إلى المستعمرين من الفرس والروم .

\*\*\*

ذهب حاطب بن أبي بلتعة إلى مصر الشعب القبطي المقهور دينيا وقوميا ولغويها وثقافيا وسياسيا وحضاريا ، حاملا رسالة رسول الإسلام إلى «ال mocques » عظيم القبط ، طالبا إليه الدخول في الإسلام ، لا باعتبار الإسلام ناسخا لنصرانية عيسى بن مررم - عليه السلام - وإنما باعتباره الشريعة المكملة لدين الله الواحد ،

---

(١) رماعة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) حد ٣ من ٥٦٤، ٥٦٣ دراسة وتحقيق . د محمد عماره طعة بيروت سنة ١٩٧٤ م

منذ أدم إلى محمد بن عبد الله ، فهى دعوة للمصريين كى يكملوا ،  
 بالإسلام ، الدين الذى عرفوه منذ نبي الله إدريس ، عليه السلام .  
 ولقد شهد الحوار الذى دار بين المقوقس وبين حاطب على هذا  
 الأفق الرفيع والواسع والعميق فى فهم صحابة رسول الله ﷺ  
 لمكانة الإسلام ومقامه من حقيقة تمام الدين واتكمال رسالات  
 السماء إلى الإنسان ﴿ .. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ  
 نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .. ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ  
 إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكَبَّهِ وَرَسُولِهِ لَا تُفَرِّقُ  
 بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا خُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ  
 الْمَصِيرُ ﴾<sup>(٢)</sup> .

ولقد دار الحوار بين «المقوقس» وبين الصحابي حاطب بن أبي  
 بلتبعة ، على النحو الذى يكشف كيف صنعت مدرسة النبوة  
 الإسلامية من البدو والأميين علماء وفلاسفة فى الدين والتاريخ ...  
 ولقد بدأ المقوقس هذا الحوار بالتحدى والتساؤل الاستنكاري ،  
 المسائل عن صدق نبوة محمد وسلطان نبوته .. فقال حاطب :  
 « - ما منعه - (أى الرسول) - إن كان نبيا - أن يدعوا على  
 فيسلط على »<sup>(٣)</sup> .

(فكان جواب حاطب) : - ما منع عيسى بن مريم أن يدعوا على  
 من أبيه عليه أن يفعل به ويفعل .  
 .. (فوجم المقوقس ساعة - أى فترة - ثم استعاد إجابة  
 حاطب .. فأعادها عليه حاطب . فسكت المقوقس) ..

(١) المائدة : ٣

(٢) البقرة : ٢٨٥

وهنا استأنف حاطب الحوار ، فقال للمقوقس :

— إنه قد كان قبلك رجل — (يشير إلى فرعون موسى) - زعم أنه رب الأعلى ، فانتقم الله به - (أى من الذين استخفهم فأطاعوه) - ، ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر بك .  
وإن لك دينا - (أى النصرانية) - لن تدعنه إلا ما هو خير منه ، وهو الإسلام ، الكافى الله به فقد ما سواه . وما بشارة موسى بعيسى إلا ك بشامة عيسى ب محمد . وما دعاونا إياك إلى القرآن إلا ك دعائلك أهل التوراة إلى الانجيل . ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به !» .

وبعد هذا الخطاب ، الذى بلغ قمة العمق فى الوعى بالتاريخ ، وفى فلسفة وحدة الدين الإلهى ، الذى اكتمل بالإسلام .. قرأ حاطب بن أبي بلطة كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ الْمَوْقُوسُ ، عَظِيمِ الْقِبَطِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَيَ الْهُدَى ، أَمَا بَعْدُ . فَإِنِّي أُدْعُوكَ بِدُعَايَةِ الْإِسْلَامِ . فَإِنْتَمْ تَسْلِمُونَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرُكَ مَرْتَيْنِ . فَإِنْ تُؤْتِنَتْ فِعْلِيكَ إِشْمَ القِبَطِ (أَيْ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَيْنِي كَلِمَةً سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَنَا تَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوْلَوْا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (١) . (٢) .

(١) آل عمران ٦٤

(٢) ابن عبد الحكم (فتح مصر وأخبارها) ص ٤٦ طبعة ليلد سنة ١٩٢٠ م و (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) ص ٧٣ ، ٧٧ تحقيق د محمد حميد الله . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م .

فمنذ ذلك التاريخ (سنة ٧ هـ سنة ٦٢٨ م) بدأ الإسلام إفراد وتمييز شعوب الشرق بالخطاب عن قوى الهيمنة والاستعمار - الفرس والروم . . . أعلانا صريحاً عن نزوع الإسلام إلى تحرير هذه الشعوب من ذلك الاستعمار .

ولذلك . . فلم يكن غريباً ذلك الاستقبال الحسن الذي لقيه حاطب بن أبي بلحة لدى عظيم القبط «المقوقس» ، في العاصمة الوطنية لمصر «منفيس» . وعندما قفل عائداً إلى المدينة ، بعث معه المقوقس «بهدايا مصرية» إلى رسول الله ، ﷺ ، جاريتان من كرام بنات مصر «مارية» و«أختها سيرين» وثياب مصرية ، من صناعة المصريين . . وعسل من مدينة «بنها» . . وراحلتان - بغلة وحمار . . .

وكما كان لرسالة الرسول ﷺ هذا القبول الحسن عند المقوقس . . فلقد كان لهذه الهدايا المصرية قبولاً حسناً ومكانة متميزة عند رسول الله . . «فمارية» ، قد شرفها بأن أصبحت أم ولده إبراهيم ، الذي أشار اسمه إلى المصاورة القدمة بين مصر وأبي الأنبياء الخليل إبراهيم - عليه السلام - تلك المصاورة التي أثمرت أمة العرب العدنانيين . . وهو هو النبي العربي ، المجدد لللة إبراهيم والمحبى - في السعي بين الصفا والمروة - لناسك هاجر المصرية ، يجدد العلاقة بمصر في صافر المصريين ، لتعجتمع مصر مع العرب الذمة والصهر والنسب جمِيعاً . . أما «سيرين» فقد أصبحت أم ولد شاعر الإسلام ، المؤيد بروح القدس ، حسان بن ثابت - أم ولده عبد الرحمن - . وتتحدث المأثورات النبوية عن دعاء الرسول ﷺ

بالبركة لهذا العسل الذي أهدته إليه مصر . وعن مكانة الراحلتين - البغلة « دُلْدُل » ، والحمار « يعفور » - لديه عليه السلام ، وكيف كانا « أحب دوابه إليه ». أما الثياب التي أهدتها إليه مصر ، فكان يتزين بها ، ثم أوصى أن يكفن في بعضها عندما يلقى الله . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال . قلنا . يا رسول الله ، فمِنْ تَكْفِنَك ؟ قال . « فِي ثِيَابِ هَذِهِ ، فِي ثِيَابِ مَصْرٍ » <sup>(١)</sup>

وهكذا دار الزمن دورته ، فجدد الاقتران بين مصر وبين حاتم الأنبياء .. ذلك الاقتران الذي سبق وحدث بينها وبين أبي الأنبياء ، إبراهيم الخليل ، عليهم السلام .

\*\*\*

وإذا كان الأصناف والتكرير مألوفا في الناس .. وفي الأوقات والأزمنة .. فإنه وارد أيضا في الأمكنة والبلاد والأقطار .. وهذا ما التفت إليه أعلام المؤرخين الذين كتبوا عن « فضائل مصر » . فلقد تتبعوا احتفاء القرآن الكريم بها . عندما ورد ذكرها فيه في نحو من خمسة وعشرين موضعًا ، « منها ما هو بصريخ اللفظ ، ومنها مادلت عليه القرائن والتفسير .. فاما صريخ اللفظ ، فمنه قوله تعالى :

- ١- « اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ » <sup>(٢)</sup>
- ٢- قوله ، يخبر عن فرعون : « أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرٌ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي عَنْهُ » <sup>(٣)</sup> .

(٢) القرة . ٦١ (٣) الرخف ٥٢

(١) (فتح مصر وأخبارها) ص

٣ - قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ وَآخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمٍ كُمَا بِمِصْرَ بَيْوَاتٍ وَاجْعَلُوا بَيْرَتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (١).

٤ - قوله - عز وجل - مخبرا عن نبيه يوسف ، عليه السلام :  
 ﴿ ادْخُلُوا مِصْرًا إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ (٢).

٥ - ﴿ وَقَالَ الَّذِي اسْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَهُ أَكْرَمِي مَشْوَاهَ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أُو نَتَخَدِّهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعَلَّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

وأما ما دلت عليه القرائن ، فمنه قوله عز وجل :

٦ - ﴿ وَلَقَدْ بَوَأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبِرًّا صِدْقًا ﴾ (٤).

٧ - قوله عز وجل : ﴿ وَأَوْيَنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٥)

- قال ابن عباس (٣٢ ق. هـ ٦٨٧ - ٦٩٦ م) وسعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤ هـ ٧١٣ - ٦٣٤ م) و وهب بن متنبه (٣٤ - ١١٤ هـ ٦٥٤ - ٧٣٢ م) وغيرهم : هي مصر

٨ - ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (٦) ..

أى أخرجنا بني إسرائيل من مصر .

(١) يونس . ٨٧ .  
 (٢) يوسف . ٩٩ .  
 (٣) يوسف . ٥٨ .  
 (٤) الشعراوي . ٥٧ .

(٥) المؤمنون . ٥٠ .  
 (٦) المؤمنون . ٩٣ .

- ١٠ - قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَتَنَا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا ﴾<sup>(١)</sup> .. يعني مصر .
- ١١ - قوله تعالى : ﴿ كُمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ، وَزَوْعِ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاقْهَيْنَ كَدَلِكَ وَأَوْرَثَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .
- ١٢ - قوله تعالى : ﴿ وَنَرِيدُ أَنْ تَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَنُودَهُمْ مَا كَانُوا يَحْدِرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .
- ١٣ - قوله - عز وجل - مخبرا عن نبيه موسى ، عليه السلام ﴿ يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْنَارِكُمْ فَتَقْلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .. أى لا ترتدوا إلى مصر ..
- ١٤ - قوله - عز وجل - مخبرا عن فرعون : ﴿ يَا قَوْمَ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>(٥)</sup> .
- ١٥ - قوله عز وجل ﴿ وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> .
- ١٦ - قوله - تعالى - مخبرا عن فرعون : ﴿ أَنَّدَرْ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرَكَ وَالْهَتَّكَ ﴾<sup>(٧)</sup> .. يعني أرض مصر ..

(١) الأعراف ١٣٧ (٢) الدخان ٢٦ . (٣) القصص . ٥ . (٤) المائدة . ٢١ .

(٥) عamer . ٢٩ . (٦) الأعراف . ١٣٧ . (٧) الأعراف . ١٢٧ .

- ١٧ - قوله تعالى - مخبرا عن نبيه يوسف ، عليه السلام :  
 ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلَيْمٌ ﴾ (١) .
- ١٨ - قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حِيثُ يَشَاءُ لَصُبْرٍ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ﴾ (٢) .
- ١٩ - قوله تعالى ، مخبرا عنبني إسرائيل . ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَآمُوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٣) .
- ٢٠ - قوله تعالى ، مخبرا عن نبيه موسى - عليه السلام -  
 ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٤) .
- ٢١ - قوله تعالى : ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (٥) ..  
 يعني أرض مصر .
- ٢٢ - قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ (٦) .
- ٢٣ - قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ شَرٌ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا تَشِيعًا ﴾ (٧) .
- ٢٤ - قوله تعالى - مخبرا عن أكبر أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿ فَلَنْ أَنْرَحَ الْأَرْضَ ﴾ (٨) يعني مصر .
- ٢٥ - قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَيَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٩) (١٠) .

(١) يوسف ٥٥ (٢) يوسف ٥٦ (٣) يوس . ٨٨ . (٤) الأعراف ١٢٩ .

(٥) غافر ٢٦ . (٦) القصص ٢١ . (٧) القصص ٤ . (٨) يوسف ٨١ .

(٩) القصص ١٩

(١٠) ابن تغري بردوى (السحور الزاهرة) ج ١ ص ٢٧، ٢٨ طبعة دار الكتب المصرية

هكذا شرف الله - سبحانه وتعالى - مصر الكنانة عندما ذكرها في قرآن الكريم في خمسة وعشرين موصعاً وعلى هذا الدرب جاء فضلها في سنة رسول الله ﷺ بتلك المؤشرات النبوية التي جمعها علماء التاريخ .

لقد تنبأ رسول الله ﷺ بفتح الإسلام لمصر .. ويدورها الرائد والمتميز - كدرة في جبين دار الإسلام - في الجهاد لنصرة الإسلام وأمته وحضارته .. فأوصى ، لذلك ، بأهلها ، وقال : «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط حيرا ، فإن لهم ذمة ورحما» <sup>(١)</sup>

ومن مسلم بن يسار ، أن رسول الله ﷺ قال : «استوصوا بالقبط حيرا ، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم» .  
وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن رسول الله قال : «الله الله في قبط مصر ، فإنكم ستظرون عليهم ، ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله .. إنهم قسوة لكم وبلغ إلى عدوكم بإذن الله تعالى» ..  
وعنه ﷺ أنه قال :

«إذا افتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جداً كثيفاً ، فذلك الجند خير أجناد الأرض»  
فقال له أبو بكر الصديق . ولم ذلك يارسول الله ؟  
فقال «لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيمة . ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته» <sup>(٢)</sup>

(١) رواه الطبراني في الكبير

(٢) (فتاح مصر وأحبارها) ص ٣٤٠ و (البحوث الراهنة) ج ١ ص ٢٩

وَعَنْ أَبِي ذِرٍ الْغَفَارِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ - وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ - فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذَمَّةً وَرَحْمًا»<sup>(١)</sup>

هكذا توجه الإسلام إلى أهل مصر بالخطاب المستقل ، إعلانا عن عزم دولته على تحريرها من القهر السياسي والديني والحضاري الذي أوقعه بها الإغريق والرومان . وهكذا كرمها القرآن الكريم ، ونبي الإسلام ، والسنة النبوية الشريفة ، عندما بوأتها هذه المكانة التميرة والعالية في مصادر الإسلام .

\* \* \*

وإذا كانت هذه هي مكانة مصر في الرؤية الإسلامية ، وهذه هي قسمة بعد التحريري في السياسة الإسلامية نحو الشعب القبطي - المصري . . . فلقد كان الروم البيزنطيون يرون في مصر الخصن الحافظ لاستعمارهم ، والذي إذا سقط انحسر سلطانهم الاستعماري عن الشرق كله ، ذلك السلطان الذي دام نحوها من عشرة قرون (٣٤٢ ق.م - ٦٤٢ م) . . . ففي المواجهة التي احتدمت بين الروم ، بقيادة «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١ م) ، وبين دولة الخلافة الراشدة ، على عهد عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣ هـ - ٤٤ م) ، شحن الرومان مصر بالجيوش والعدة والعتاد ، وخاصة بعد أن انحسر سلطانهم وزالت دولتهم عن بلاد الشام . . . حتى لقد عبر «هرقل» عن هذا الموقف صراحة عندما قال : «لعن ظهرت العرب على الإسكندرية فإن في ذلك انقطاع ملك الروم

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد .

وهلákهم ، لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ، وأعياد الروم بالإسكندرية . . .<sup>(١)</sup>

وحتى نعرف حدة الصراع ، وشراسة القتال ، وطول المماصرات ، وقوة التحصينات ، وشدة المعاناة التي اكتنفت الفتح الإسلامي لمصر - مع ملاحظة وقوف الشعب المصري مع جيش عمرو بن العاص . . . وتركز الصراع والقتال ضد حاميات الروم وحصونها . . . حتى نعرف مبلغ ذلك ، يكفي أن نذكر أن الفتح الإسلامي للعراق والخليج وفارس ، وأيضاً لكل أنحاء الشام ، بما في ذلك المعارك الكبرى في «القادسية» و«أجنادين» و«اليرموك» تمت كلها في عام واحد (٦١٥ هـ / ٦٣٦ م) ، بينما استغرق فتح مصر وحدها نحو أربع سنوات ! . . . بل إن فتح مدينة الإسكندرية وحدها قد استلزم حصاراً فرضه المسلمون عليها دام أربعة عشر شهراً ، منها خمسة أشهر في حياة هرقل وتسمة بعد وفاته . . . فلقد كانت مصر درة الإمبراطورية البيزنطية ، ومقر الجيوش الرومانية الحارسة لهيمنة بيزنطة على الشرق - من الشام وحتى شمال إفريقيا .

ويبدو أن هذه الإمكانيات العسكرية التي ركزها الرومان في مصر ، كانت هي سبب التردد الذي حدث لتفكير موقف عمر بن الخطاب في اتخاذ قرار فتحها عندما اقترحه عليه وحبيبه له وأغراه به عمرو بن العاص (٥٠ ق. هـ / ٤٣ هـ - ٥٧٤ م) في سنة (٦١٨ هـ / ٦٣٩ م) ، عندما التقى في الشام . . . فلقد استخار عمر في

---

(١) (فتح مصر وأحبارها) ص ٦٨ .

ذلك واستشار ، واستمرت شوراه حتى بعد أن تحرك عمرو بن العاص بجيشه متوجها نحو مصر .. وكان ما قاله عثمان بن عفان لعمرو ، في هذه المشاورات : « يا أمير المؤمنين ، إن عمراً بحريء ، وفيه إقدام ، وحب للإمارة ، ف أنا خشى أن يخرج هو غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلاك رجاء فرصة لا يدري تكون أم لا .. »<sup>(١)</sup> .. فكتب عمرو بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالرجوع عن خطة الفتح إذا لم يكن قد دخل مصر ، وبالمضي إلى الفتح إذا كان قد دخلها .. وجاء في كتابه : « أما بعد فإنك سرت إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نفر يسير .. فإن لم تكن قد بلغت مصر فارجع .. وإن أدركك كتابي وقد دخلتها فامض ، وأعلم أنني مُمْدِّثك .. »<sup>(٢)</sup> . فكان فتح عمرو بن العاص لكتاب أمير المؤمنين بعد تجاوزه لـ« رفع » وقبل دخول « العريش » .. ذلك أن مشيّة الله كانت قد نفذت ، وحان الحين كي يجلسها على الأرض وفي ميادين الفتوحات التحريرية ، أولئك الذين استخلفهم الله للانتقال بالإنسانية إلى طور جديد ..

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّا هُمْ فِي الْأَرْضِ أَقْسَمُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمْرَوْا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) المصدر السابق . ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق . ص ٥٨، ٥٧ .

(٣) المح ٤

وإذا كانت وقائع هذا الفتح المبين ، ومسارحه وتاريخه قد اختلفت في بعضها بعض روايات المؤرخين . فإن التحقيق لهذه الروايات والمقارنة بينها يحكي لنا حقيقة سير خطوات هذا الحدث التاريخي العظيم

- كان عمرو بن العاص قد أسهما متميزا في قيادة فتوحات الشام .. وهو الذي تولى قيادة المعركة في «أجنادين» ، عندما كانت قيادة جيش الروم لداهيthem «أرطبون» - «الذى كان أدهى الروم وأبعدها غورا ، وأنكها فعلا» - كما يقول الطبرى (٢٢٤ - ٩٣٩ هـ - ٨٣٩ م) - ولقد قدم المسلمين عمرو بن العاص باعتباره الكفاء لأرطبون الروم .. وقال عمر بن الخطاب «لقد رمينا أرطيون الروم بأرطيون العرب ، فانظروا عن تفراج»<sup>١</sup> . ولقد انفرجت المعركة عن انتصار المسلمين بقيادة عمرو بن العاص على أرطيون الروم<sup>١</sup>

- وحدث في سنة (٩٣٩ هـ ١٨) طاعون بأرض الشام - بضيعة «عمواس» ، على ستة أميال من القدس - مات فيه كثيرون ، منهم قائد الجيش الإسلامي الفاتح للشام ، أمين الأمة أبو حبيدة بن الجراح (٤٠ ق. هـ ١٨ - ٥٨٤ هـ ٩٣٩ م) ونائبه معاذ بن جبل (٢٠ ق. هـ ١٨ - ٦٠٣ هـ ٩٣٩ م) .. فأصبحت قيادة جيش المسلمين في الشام لعمرو بن العاص (٥٠ ق. هـ ٥٧٤ هـ ٦٦٤ م) .. وسار أمير المؤمنين عمرو بن الخطاب من المدينة إلى الشام ، ونزل بـ «الجاية» - وهي قرية من أعمال دمشق - وقسم

(١) الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) ج ١ ص ٦٠٥ - ٦٠٧ . تحقيق . محمد أبو العصل إبراهيم طبعة دار المعارف القاهرة

مواريث موتى الطاعون . . وفى لقائه مع عمرو بن العاص ، شاوره عمرو فى فتح مصر ، وحسنه له ، وأغراه به . . فوافق عمر ، على أن تتمد المشورة إلى ما بعد عودته للمدينة – وفيها كبار الصحابة – وعلى أن يظل القرار النهائي معلقا بنتائج التحورى . . ويدخول الجيش الفاتح إلى الديار المصرية . .

• وعاد عمر إلى المدينة فى ذى القعدة سنة ١٨ هـ ديسمبر سنة ٦٣٩ م . . فى الوقت الذى سار فيه عمرو بن العاص على رأس جيش الفتح – المكون من ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) مقاتل قاصدا فتح مصر . . فلما وطئت أقدام الجيش الإسلامي أرض مصر ، أدركهم رسول أمير المؤمنين ، بكتابه الذى يدعوهم إلى الرجوع إن لم يكونوا قد دخلوا أرضها . . وكانت قراءة الكتاب وهم على أرض مصر ، فى قرية بين «رفع» و«العرיש» . . فمضوا إلى فتحهم على بركة الله . .

• وفى مدينة «العرיש» حل أول عيد للأضحى على المسلمين فى أرض مصر ، فصلى عمرو بن العاص وجنوده أول صلاة للمعید على أرض الكنانة ، وضحى عن أصحابه بكبش ، فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٨ هـ ٦٣٩ م – أي قبل أربعة عشر روا من التاريخ الذى نكتب فيه هذه الصفحات . . .

• وفى مدينة «الفرما» حدث أول قتال شديد بين الجيش الإسلامي وبين قوات الروم ، وفى هذه المعركة دام القتال نحو من شهر<sup>(١)</sup> .

---

(١) (فتح مصر وأنجاراتها) ص ٥٨

● وبعد هرية الروم في «الفرما» انحرف الجيش الإسلامي عن الطريق الساحلي ، متوجهها إلى الجنوب الغربي .. وعند «بلبيس» وقعت ثانية وقائع القتال الشديد بينه وبين الرومان .. ودامت هذه المعركة ، هي الأخرى ، نحو من شهرا . انتصر فيها المسلمين على الرومان ..

● وكان الاضطهاد الروماني لأقباط مصر قد ألجأ أسقف القبط وأئس الكنيسة المصرية «بنيامين» - أو «أبو ميامين» (٦٥٩ هـ ٣٩ م) - إلى الهرب في الصحراء «فلما بلغه قドوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلّمهم : أنه لا تكون للروم دولة ، وأن ملوكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقي عمرو» بن العاص . حدث ذلك منذ بدايات معارك الفتح الإسلامي لمصر ، حتى «يقال . إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا ، يومئذ ، لعمرو أعواضا .» (١)

● وأدرك عمرو بن العاص - رغم انتصاره في «الفرما» و«بلبيس» - ومن خلال شراسة المقاومة ، وطول مدة القتال - شهر في «الفرما» وشهر في «بلبيس» - احتلال التوازن بينه وبين الأعداء . فمجنوده ٤٠٠٠ يواجهون ١٢٠،٠٠٠ يحتمون في الحصون والمدن والقلاع ووافر العدة والعتاد .. فكتب إلى عمر بن الخطاب يطلب المدد الذي وعده به ، فجاءه المدد ، وهو محاصر «لحصن بابليون» ، قرب العاصمة المصرية «منفيسي» .. أملده أمير المؤمنين عمر بـ ٤،٠٠٠ مقاتل ، وعلى رأس كل ألف منهم واحد من أبطال صحابة رسول الله ﷺ ، قدر عمر بن الخطاب أنه يزن ألفا من المقاتلين فأصبح عدد الجيش الفاتح ٨،٠٠٠ ووزنه ١٢،٠٠٠ من المقاتلين !

---

(١) المصدر السابق ص ٥٨، ٥٩

ومع هذا المدد جاء كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، يقول له فيه : «إني قد أمدتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف - الزبير بن العوام (٢٨ ق. هـ ٥٩٦) - (٦٥٦م) والمقداد بن عمرو بن الأسود (٣٧ ق. هـ ٥٨٧هـ ٤٣) - (٦٥٣م) وعبدادة بن الصامت (٣٨ ق. هـ ٥٨٦هـ ٤٤) - (٦٨٢هـ ٢٢٢) - (٦٢٢هـ ١) - (٦٨٠م) . . . ولا يُغلب اثنا عشر ألفا من قلة ..»<sup>(١)</sup>

وبالشمانية ألف ، والصحابة الأربعـة - الذين يعلـدون أربـعة ألف - حاصـر المـسلمـون «حـصن بـابـليـون» سـبـعة أـشـهـرـ ، حتى اـفـتـحـمـوهـ وافـتـحـوـهـ عـنـوةـ وـقـتـالـاـ فـىـ نـهاـيـةـ الـمـطـافـاـ . . . وـكـانـ ذـلـكـ فـىـ يـوـمـ الـجـمـعـةـ ٢ـ مـحـرـمـ سـنـةـ ٢٠ـ هـ ٢٢ـ دـيـسـمـبـرـ سـنـةـ ٦٤٠مـ . . . وـبـذـلـكـ أـصـبـحـتـ الـعـاصـمـةـ الـوطـنـيـةـ لـأـقـبـاطـ مـصـرـ . . . «منـفـيـسـ» - مـعـرـرـةـ مـنـ استـعـمـارـ الرـوـمـ الـبـيـزـنـطـيـيـنـ .

● وأثناء حصار المسلمين لـ «حـصن بـابـليـون» - الـذـيـ كـانـ يـقـودـ وـمـ دـفـاعـاـ عـنـهـ ، قـائـدـهـمـ «الـأـعـيـرـجـ» - حدـثـتـ اـتـصـالـاتـ وـدارـتـ تـاـوـضـاتـ بـيـنـ «الـمـقـوـقـسـ» ، عـظـيمـ الـقـبـطـ وـوـالـىـ «مـنـفـيـسـ» ، وـبـيـنـ عـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـمـ . . . حدـثـ ذـلـكـ فـىـ آـخـرـ شـعـبـانـ سـنـةـ ١٩ـ هـ (٦٤٠مـ) ، عـنـدـماـ تـحـدـثـ المـقـوـقـسـ إـلـىـ قـيـسـ بـنـ سـعـدـ (٦٠ـ هـ ٦٨٠مـ) مـنـدـوبـ عـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـمـ . . . وـبـعـدـ هـذـهـ لـحـادـثـ ، أـرـسـلـ المـقـوـقـسـ رـسـلـاـ مـنـ عـنـدـهـ لـاستـطـلـاعـ حـالـ الـمـسـلـمـيـنـ فـىـ مـعـسـكـرـهـمـ . . . «فـلـمـ جـاءـتـ رـسـلـ المـقـوـقـسـ إـلـيـهـ ، قـالـ لـهـمـ :

(١) المصادر الساق ص ٦١

— كيف رأيتموهم ؟

— قالوا : رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يُعرف رفيعهم من وضعفهم ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلَّ عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتحشرون في صلاتهم .

فقال - عند ذلك - المقوقس : والذى يختلف بهما هو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازوالها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولكن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجربوا بعد اليوم إن أمكنهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم . . .<sup>(١)</sup>

لقد تميَّز موقف القبط - الذي عبر عنه المقوقس - وذلك تبعاً لتميَّز موقف أسقف القبط «أبو ميامين» - تميَّز موقف القبط عن موقف المستعمرين الروم . . فسمى المقوقس إلى مصالحة الجيش الإسلامي الفاتح . . ودارت بينه وبين المسلمين مفاوضات - في «منفيسي» - مثل المسلمين فيها وقد قاده الصحابي عبادة بن الصامت . . وكان المقوقس ، وهو يحاور عبادة بن الصامت - ولهذا دلالته ومغزاها - يتحدث عن الروم بضمير الغائب ، فيقول لعبادة ، محلداً إياه من قوة الروم ، والإمدادات الآتية إليهم - عبر البحر المتوسط - : «لقد توجَّه إلينا لقتالكم من جمْع الروم ما لا يُخْصِّي عدده . . وإنما لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيفوهم ، لضعفكم وقتلتم . . .<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق . ص ٦٥

(٢) المصدر السابق . ص ٦٦

ولقد أفضت المفاوضات بين المقوس ، عظيم القبط – في «منفي» - وبين وسل عمرو بن العاص ، إلى صلح ناجز بين القبط - الذين تعاقد المقوس باسمهم - وبين عمرو بن العاص . . وإلى صلح آخر ، غير ناجز ، اقتربه المقوس على الروم ، وعلق إمضاءه على موافقة هرقل ، قيصر الروم . . فاما صلح القبط - الناجز والنهائى - فلقد تم التعاقد عليه عندما اجتمعوا - عمرو بن العاص في نفر من المسلمين ، والمقوس في نفر من القبط - «واصطلحوا على أن يفرض على جميع من مصر ، أعلىها وأسفلها ، من القبط ديناران ديناران . . من بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا النساء شيء . . وأن لهم أرضهم وأموالهم ، لا يُعرض لهم في شيء منها . فشرط هذا على القبط خاصة» . .<sup>(١)</sup>

وبذلك تم التعاقد على الصلح بين الجيش الفاتح وبين الشعب المصري ، وقيادته الوطنية . . وهو التعاقد الذي عبر عن الموقف العملي للشعب من الجيش الفاتح ، وهو موقف الترحيب والدعم والتأييد ، الذي أعلن عنه الأسقف «أبو ميامين» منذ معركة «الفرما» في شبه جزيرة سيناء . .

أما «مشروع» الصلح بين المسلمين والروم ، والذي تطوع المقوس ، عظيم القبط ، فتفاوض حوله مع عمرو بن العاص . . فلقد كان مجرد «مشروع» اتفقا على تعليق إنجازه وإمسائه على موافقة هرقل ، قيصر الروم . . وفي هذا «المشروع» : «شرط المقوس للروم أن «يُخِّرُّوا ، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا - (الصلح

(١) المصدر السابق ص ٧٠

الذى عقده القبط) - أقام على ذلك ، لازما له ، مفترضا عليه من أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى أن للمقوس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم ، ولا كانوا جميعا على ما كانوا عليه . وكتبوا بذلك - (الصلح) - كتابا ..<sup>(١)</sup>

فلما كتب المقوس إلى هرقل بخبر ونص هذا الصلح المقترن على الروم .. رفضه هرقل . « وكتب إلى المقوس يُقْبِح رأيه ، ويُعَجِّزُه ويرد عليه ما فعل ، ويقول في كتابه - (إلى المقوس) - إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا ، وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يُحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا دفع الجزية إلى العرب واختاروهم علينا ، فإن عندك بهصر من الروم بالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة .. فناهضهم القتال ، ولا يكون لك رأى غير ذلك

• وكتب ملك الروم بهمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم ..

• فأخبر المقوس عمرو بن العاص بحواب ملك الروم ، وطلب منه إدخاله ومن معه في الصلح ، كالقبط - (أى إدخال من مع المقوس من الروم ، الذين اختاروا الصلح ، في هذا الصلح الذي تم مع القبط) - وقال لعمرو بن العاص : إنما سلطانى على نفسي ومن أطاعنى ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت من قبلهم نقض ، وأنا متّم لك على نفسي ، والقبط متّمون لك على

(٢) المصدر السابق : ص ٧٠ - ٧٣ .

الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم  
برىء . . .<sup>(١)</sup>

هكذا تميز الموقف الإسلامى من القبط ، الذين صالحوا وعاونوا  
وسلموا ، عن الموقف من الروم ، الذين احتاروا القتال . .

وحتى القرى المصرية التى ساند أهلها الروم ، وشاركوا فى قتال  
الجيش الإسلامى – قرى «بلهيت» و«سلطيس» و«أم دين» و  
«قرطساً» و«سخا» و«الخيس» - فى الطريق إلى الإسكندرية -  
حتى هذه القرى ، عفا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن أهلها ،  
وحرر أسراهـم ، وشملهم بالصلح الذى أبرمه الأقباط مع عمرو بن  
ال العاص . . .<sup>(٢)</sup>

• وفي الطريق إلى الإسكندرية ، كان الرومان قد زرعوا الحصون  
والاستحكامات وشحذوها بالجندول والعتاد . . فدارت العديد من  
المعارك بين الجيش الإسلامى الفاتح وبين هذه الحصون والقلاع  
والحاميات الرومانية . .

حدث ذلك في «أم دين» . . بالقرب من العاصمة المصرية  
، حصن بابلیون . .

وفي «سلطيس» . وهى من القرى المصرية القديمة . . حدث  
الشديد بين المسلمين والرومان .

وفي «قرطساً» . وهى من قرى مصر القديمة .

وفي «الخيس» . وهى من كور وقرى الحوف الغربية . .

---

(١) المصدر السابق . ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) المصدر السابقة . ص ٨٣ ، ٨٤ .

وفي «سَخَا» وهي من المدن المصرية القديمة بדלתا النيل ..

وفي «بَلْهِيت» - أو «بَلْهِيت» ..

وهي «كُوم شرِيك» - قرب الإسكندرية - دام القتال ثلاثة أيام ..

وفي «الْكَرْيُون» - قرب الإسكندرية - استمر القتال بضعة عشر يوما .. حتى لقد صلى المسلمين يومئذ صلاة الخوف .. فانقسموا طائفتين ، وصلى عمرو بن العاص بكل طائفة ركعة وسجدتين ، بينما الطائفة الأخرى تخوضن عمار القتال ، وتؤمن صلاة المصليين ! . (١)

كل هذا قد حدث - ومثله كثير - على طريق الجيش الفاتح ، أثناء سيره من حصن بابليون إلى الإسكندرية بينما حصون الروم وقلاعهم منتشرة في غير ذلك من الأقاليم والأنحاء ، شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً .

لقد أدخل صلح الموقوس مع عمرو بن العاص مصر الشعب في إطار الدولة الإسلامية ..

وفتحت هزيمة الرومان في حصن بابليون الطريق أمام الجيش الفاتح نحو الإسكندرية ، التي هي المعركة الفاصلة بين المسلمين - ومعهم القبط - وبين المستعمررين الرومان .

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٣ ، ٧٤

## فتح الإسكندرية

● وبعد هزيمة الروم في «حصن بابليون» - يوم الجمعة ٢ محرم سنة ٢٠ هـ ٢٢ ديسمبر سنة ٤٤٠ م - تحرك الجيش الإسلامي لحصار الإسكندرية ، عاصمة الاستعمار الروماني في مصر ، وفرض علىها الحصار - إلا من ناحية البحر - أربعة عشر شهرا .. وكما يروى التاريخ عن الإسكندرية وحصارها .. فلقد «تحصّن بها الروم ، وكانت عليهم حصون مبنية لا ترُأْم ، حصن دون حصن .. فنزل المسلمون ما بين «حلوة» إلى «قصر فارس» إلى مaurae ذلك ، وضعهم رؤساء القبط يدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوقة » (١)

ورغم مناعة الحصون .. والمائة ألف رومي الذين اعتصموا في هذه الحصون .. والمدد الذي يأتيهم من البحر .. استطاع المسلمون اقتحام الإسكندرية ، وتفويض الاستعمار الذي يداً مع فتح الإسكندر الأكبر ، قبل نحو ألف عام (سنة ٣٣٢ ق.م) .. فلقد فتح الله عليهم هذه المدينة الخصينة يوم الجمعة أول جمادى الثانية سنة ٢٠ هـ ١٨ مايو سنة ٦٤١ م ..

ولقد كان عمر بن الخطاب رض هو الذي حدد للجيش الفاتح تاريخ المعركة وتوقيت الفتوح ، وشروط الانتصار .. والمؤرخون يتحدثون عن ذلك ، فيقولون : إنه «لما أبطا على عمر بن الخطاب

(١) المصادر الساق ص ٧٤

فتح مصر ، كتب إلى عمرو بن العاص : أما بعد ، فقد عجبت  
لإبطالكم عن فتح مصر . إنكم تُقاتلون منذ سنتين ، وما ذاك إلا  
لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوكم . وإن الله - تبارك  
وتعالى - لا ينصر قوماً إلا يصدق نياتهم

وقد كنت وجهتُ إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم  
مقام ألف رجل ، على ما كنتُ أعرف ، إلا أن يكونوا غيرهم ما غير  
غيرهم .

فإذا أتاك كتابي هذا ، فاخطب الناس وحضرهم على قتال  
عدوهم ، ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة في صدور  
الناس ، ومر الناس جمِيعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل  
واحد ، ول يكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تنزُل  
الرحمة ووقت الإجابة ، وليفجع الناس إلى الله ويسأله النصر  
على عدوهم» .

للمَا أتى عمرو بن العاص كتاب أمير المؤمنين عمر بن  
الخطاب ، جمع الناس وقرأ عليهم الكتاب ، ثم دعا أولئك النفر -  
(الزبير بن العوام . والمقداد بن الأسود . . . وعبادة بن الصامت . .  
ومسلمة بن مخلد) - فقلَّ لهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتظهروا  
ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبوا إلى الله - عز وجل - ويسألوه النصر ،  
ففعلا ، ففتح الله عليهم . . . »<sup>(١)</sup>

هكذا فتحت الإسكندرية ، وبفتحها دالت دولة الروم ، وطويت  
صفحة استعمارهم للشرق ، بعد أن دامت قرابة الألف عام . . ذلك  
أن الإسكندرية كانت هي حصن الاستعمار البيزنطي ، الذي قهر

(١) المصدر السابق . ص ٧٩

مصر في السياسة والدين والثقافة والحضارة ، فجعل منها «مراكع حضاريا» سعت إلى ملئه بحضاراة الإسلام ، تلك التي ورثت وأحيت كل المواريث الحضارية التي سبقت الإسلام .. والتي حررت فتحها الإسلامي القبط من الاضطهاد المأساوي الذي أنزله بهم الروم البيزنطيون ..

لقد تحققت ، بفتح الإسكندرية ، نبوة «هرقل» — قيصر الروم — تلك التي قال فيها: «لشن ظهرت العرب على الإسكندرية ، فإن في ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم ، لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية» وبعد فتحها تمت فتوحات سائر الأقاليم المصرية .

فبعد أن أسس عمرو بن العاص مسجده — وهو أول مسجد بني في القارة الإفريقية - (سنة ٢١ هـ ٦٤٢ م) - واحتل من حوله خطط أولى المدن الإسلامية في إفريقيا - مدينة الفسطاط - التي جعلها امتداداً وضاحية للعاصمة الوطنية المصرية التاريخية «مفيس» - بل وسمتها «مصر» - رمزاً لتعبير الفتح الإسلامي وعاصمته عن تحرير مصر ، وليس عن القهر الذي رممت إليه العواصم الاستعمارية «أواريis» الهكسوس ، وإسكندرية» «إسكندرية المقدوني» .. بعد ذلك قاد المقداد بن الأسود الجيش الذي فتح «دمياط» (سنة ٢١ هـ ٦٤٢ م) ..

وفي العام التالي (سنة ٢٢ هـ ٦٤٣ م) قاد عمرو بن العاص الجيش الذي فتح به «برقة - إنطابلوس» ، وهي الحد الغربي للديار المصرية ..

وبذلك تمت فتوحات الإسلام لمصر ، تلك التي استغرقت من

الخسار والقتار أربع سنوات فلقد صلى المسلمين - وراء عمرو بن العاص - صلاة عيد الأضحى بالعرיש في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ ٦٣٩ م وكان قام الفتح - بقيادة عمرو - لـ «برقة - انطابلوس» سنة ٦٤٢ هـ ١٣٦٣ م وهي مدة غير مسبوقة ، في طولها ، بتاريخ الفتوحات الإسلامية . لبلد كان الروم قد علقوا عليه كل الأمال ، وعلق عليه الإسلام والمسلمون الكثير والكثير من الأمال !

ويكفي أن نعلم أن أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، الذي أهمه اتخاذ قرار فتح مصر أكثر مما حدث له مع قرارات الفتوحات الكبرى قد استقبل بشارة فتح مصر ، وسقوط قلاع الروم في الإسكندرية كما لم يستقبل بشارة فتح من الفتوح ، على كثرة وعظمة ما شهد عهده من الفتوح

ولقد كان حامل بشارة الفتح إلى المدينة واحداً من أبطال الفتوحات الإسلامية ، الصحابي معاوية بن حدبيج (٦٧٢ هـ ٥٥٢ م) - والراوى عن رسول الله ﷺ ، حديث : «غُلْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْرَوْحَةٌ خَيْرٌ مِّنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»<sup>(١)</sup> . فوصل إلى مسجد المدينة ساعة الظهيرة ، وظننا منه أن أمير المؤمنين قائل قيلولة الظهيرة ، أثر الانتظار بالمسجد إلى صلاة العصر . ومادري أن عمر يحرقه القلق والشوق إلى أخبار الفتح الذي أبطأ به الزمان . حتى لقد وجّه الجواري والغلمان لترقب القادمين من الأسفار ، على أن يكون فيهم من يحمل من مصر الأخبار ..

(١) رواه الإمام أحمد . وانظر . ابن الأثير (أسد الغابة في معرفة الصحابة) . ترجمة معاوية بن حدبيج . طبعة دار الشعب القاهرة

ولندع معاوية بن حدبيج يروى لنا كيف استقبل عمر بن الخطاب بشارة الفتح العظيم ، الذي دخلت به مصر في دين الله ، والذي كان عيد ميلاد إسلامها ! . يقول معاوية :

«بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية .. فقلت لعمرو :  
- ألا تكتب له؟ .

- فقال عمرو : وما أصنع بالكتاب؟ أليست رجلاً عربياً ، تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت؟ ! .

فقدمتُ المدينة في الظهيرة ، فأنهضتُ راحلتي بباب المسجد ، ثم دخلت المسجد . فبينما أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر ابن الخطاب ، فرأته شاحباً ، على ثياب السفر ، فاتنتي فقالت :  
- من أنت؟ .

- قال . فقلت : أنا معاوية بن حدبيج ، رسول عمرو بن العاص .  
فانصرفت عنـ - (إلى منزل عمر) - ثم أقبلت تشتد - (مسرعة)  
ـ أسمع حفيـف إزارها على ساقـيها ، حتى دنت منـي فـقالـت :

- قـم ، فـأجـب ، أمـير المؤـمنـين يـدعـوك .  
فـتـبعـتها ، فـلـمـا دـخـلت ، فـإـذـا بـعـمرـ بنـ الخطـابـ يـتـناـولـ رـدـاءـهـ  
حدـيـ يـديـهـ وـيـشـدـ إـزارـهـ بـالـأـخـرىـ ، فـقـالـ :  
- ماـعـنـدـكـ؟ .

- فـقـلـتـ : خـيـرـ ، ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ، فـتـحـ اللهـ الإـسـكـنـدـرـيـةـ ! .  
فـخـرـجـ معـيـ إـلـىـ المسـجـدـ ، فـقـالـ لـلـمـؤـذـنـ :  
- أـذـنـ فـيـ النـاسـ : الصـلـاـةـ جـامـعـةـ .  
فـاجـتـمـعـ النـاسـ ، ثـمـ قـالـ لـىـ :

- قم ، فأخبر أصحابك !  
فقمتُ فأخبرتهم ، ثم صلى ، ودخل منزله ، واستقبل القبلة  
قدعا بدعوات ، ثم جلس ، فقال :  
- ياجارية ، هل من طعام ؟ .  
فأاتت بخبز وزيت ، فقال :  
- كلّ .  
فأكلتُ على حياء ! .  
- ثم قال : ياجارية ، هل من ثمر ؟  
فأاتت بتمر في طبق ، فقال :  
- كلّ .  
فأكلتُ على حياء ! ..

- ثم قال : ماذا قلتَ ، يامعاوية ، حين أتيتَ المسجد ؟ .  
- قال : قلتُ : أمير المؤمنين قائل  
- قال : بشس ما ظننتَ لشن نمتُ النهار لا ضيئعنَ الرعية ، ولشن  
نمَّ الليل لا ضيئعنَ نفسى ، فكيف بالثوم مع هذين يامعاوية ؟ ! )<sup>(١)</sup>  
هكذا استقبل عمر بن الخطاب ، وعاصمة الدولة الإسلامية ،  
بشرارة الفتح العظيم ، الذي دخلت به مصر في دين الإسلام ..  
فاذن المؤذن . الصلاة جامعة .. فلما اجتمع الناس ، صلى الجميع  
وسجدوا جميعا - في مسجد النبوة - شكر الله ، سبحانه وتعالى  
الذي أداه دولة الروم ، بعد أن أداه دولة الفرس ، فتحررت شعوب  
الشرق من استبداد واستعباد وهيمنة «نظام» عالم ذلك التاريخ ..

---

(١) متوح مصر وأخبارها) ص ٨١

أما الروم ، فإنهم لم يجعلوا هزيمتهم في الإسكندرية - يوم الجمعة أول جمادى الثانية سنة ٦٤١ هـ ١٨ مايو سنة ١٢٤٠ م - نهاية أحالمهم في استعمار مصر والشرق .. فنقضوا العهد الذي عاهدوه عقب الهزيمة ، وتأمرروا مع من بقي منهم بالاسكندرية ، واقتحموا المدينة من البحر في سنة ٦٤٦ هـ ٢٥ سبتمبر .. واحتلوها إلى أن عاد إليها عمرو بن العاص ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتح الإسكندرية -  
الفتح الثاني - في تاريخ هذا الصراع ..

ولقد كان هذا الغدر رومانيا خالصاً .. وبعبارة المؤرخين : «وأما المقوس فيقى ثابتا على صلحه ، ولم يغدر» ..<sup>(١)</sup>

بل ظلت القسطنطينية - عاصمة الدولة البيزنطية - تُحيي شعبها لاستعادة الشرق من الدولة الإسلامية حتى تاريخ الفتح العثماني لها (٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م) بقيادة السلطان محمد الفاتح (٨٨٦ - ١٤٢٩ هـ ١٤٨١ م) .

فمصر كانت ، وظلت ، في «النظام الغربي» بوابة استعمار لغرب الشرق ، وضمانة بقاء هذا الاستعمار . ولذات السبب انت أهميتها في الفتوحات التحريرية التي غير بها الإسلام ة الخضارة ، ومقاصدها ، فغير بذلك مجرى التاريخ

\* \* \*

لقد دخل الجيش الإسلامي إلى مصر ، فميز فيها بين «الأمة لقهورة» التي أمنها وحررها وأحياها والتحم بها .. وبين «الدولة

---

(١) محمد محترن المצרי (التعريفات الالهامية في مقارنة التواريχ) - توثيقاً سنة ٢٥٢٥ هـ دراسة وتحقيق د محمد عمارة ، طبعة بيروت سنة ١٩٨١ م

القاهرة» التي حاربها وهرمها وطوى صفحة استعمارها لمصر وفهرا  
للمصريين ..

ولعل في تمايز هذا الموقف الإسلامي - إزاء «الأمة» و«الدولة» -  
السر في ذلك الخلاف الشهير بين المؤرخين الذين كتبوا عن الفتح  
الإسلامي لمصر .. خلافهم حول فتح مصر، وهل كان «عنوة» -  
بالقتال؟ .. أم كان «صلحاً» - دونما قتال .. (١) .

فمصر «الأمة .. والشعب» قد فتحت «صلحاً». وحتى قبل  
تعاقد المقوقيس ، عظيم القبط ، مع عمرو بن العاص على هذا  
الصلح .. ومنذ أن عرف المصريون بما دخول عمرو بن العاص  
وجيش الإسلام إلى أرض سيناء .. فالمصريون قد وقفوا يساندون  
الجيش الإسلامي الفاتح منذ معركة «الفرما» في شمال سيناء ..  
ومنذ ذلك التاريخ ، أيضاً ، كان قرار وتوجيه بترك مصر «أبوميامين»  
- وهو منفى وهارب في الصحراء -

أما «مصر» الدولة البيزنطية ، فإنها هي التي «فتحت» - بل  
و«فهرت» - عنوة وقتلاً .. بل وقتلاً شرساً ، استغرق من الجيش  
ال BASIL ، الذي ضم جميرة من الأبطال ، صحابة رسول الله ﷺ  
ورضى عنهم وأرضاهم ، أربع سنوات فكان أطول «فتح العنة»  
في تاريخ فتوحات الإسلام ..

(١) (فتح مصر وأخبارها) ص ٨٤ - ٩٠ .

## الإحياء الإسلامي لمصر ..

### والإحياء المصري للإسلام !

لم يكن الإحياء الإسلامي لمصر مقصوراً على الذين أسلموا من أهلها دون سواهم من شعبها . . فلقد كان الإسلام - كما مثلته الشريعة الخاتمة - هو «الثانية» المتممة لـ مكارم الأخلاق الدينية - كل الأخلاق الدينية . . ومن ثم ، فإنه قد استهدف إحياء كل مكارم الأخلاق الدينية لدى جميع أبناء الشرائع والرسالات السماوية التي سبقت شريعة الإسلام الحمدية . .

وكان الإسلام هو الشريعة الخاتمة ، التي تحسى مالم يتجاوزه التطور . . وتصبح ما أصيابه التحرير . . وتحقق ما حدث الاختلاف فيه ، في كل شرائع السماء . .

وكان الإسلام هو الدين الذي لا يكتمل إيمان المؤمنين به إلا إذا آمنوا بكل الرسل والرسالات ، والأنبياء والنبوات ، والكتب التي سبق وأوحى بها الله - سبحانه وتعالى - على مر تاريخ الرسالات الدينية .

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ آمَنُوا بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ﴾ (١).

وكان الإسلام هو الدين الذي يعلم الناس أن تعدد البشر في الشرائع واختلافهم في الملل هو السنة الإلهية والقانون الديني الذي لا تبديل له ولا تحويل .

﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنَّ لَيْسَ لَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَقِوْا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَبْيَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقْتُمْهُمْ ﴾ (٢) .

ولذلك ، كان الإحياء الإسلامي إحياء مطلق الدين الإلهي الواحد ، الذي تعددت فيه الملل والشرائع والرسالات والنبوات . وكان الإحياء الإسلامي ، في مصر ، تصحيحاً وتجديداً واستئنافاً ترتفع به مجدها رأية التوحيد ، التي رفعتها مصر منذ رسالة نبي الله إدريس - عليه السلام - في فجر الاجتماع البشري .. فالإسلام كمال و تمام للدين الإلهي الواحد ، وليس نقضاً ونفياً لما سبقه من الدين !

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا تَنَزَّلَ مِنْ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَمِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَبَعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٣) .

(١) هود ١١٨، ١١٩

المائدة ٤٨

(٢) المائدة ٤٨

ولأن أهل مصر قد عانوا الشدائـد القاسية والمحن القاتلة في ظل القـهر الرومـاني .. فلقد رأوا في دولة الإسلام الحرية والتحرر المنقذـين لهـما من الـهلاـك ، الأمر الذي جعل الإسلام لهم : الحياة والإـحياء ..

ونحن عندما نتأمل حوار «حـاطـب بن أـبي بلـقـعـة» - الحـامـل لكتـاب رـسـول الله ﷺ إـلـى شـعب مـصـر - مع «المـقـوقـس» عـظـيم القـبـط ، نـطالـع هـذـه الرـؤـيـة الإـسـلامـيـة لـعـلـاقـة الإـسـلام بـما سـبـقـ شـريـعـته من شـرـائـع السـمـاء .. فـحـاطـب - الصـاحـابـيـن المـسـلم - يـتـحدـث إـلـى المـقـوقـس - النـصـرـانـيـ القـبـطـي - فيـقـولـ لهـ :

- «وـإـن لـك دـيـنـا لـن تـدـعـه إـلـا مـا هـوـ خـيـرـهـ ، وـهـوـ الإـسـلام ، الـكـافـيـ اللـهـ بـهـ فـقـدـ ماـ سـوـاهـ - (أـىـ أنـ الإـسـلامـ شاملـ لـحـقـيقـةـ النـصـرـانـيـةـ ، وـزـائـدـ عـلـيـهاـ ، وـمـتـجـاـوزـ لـهـاـ) - ، وـمـا بـشـارـةـ مـوسـىـ بـعـيـسـىـ إـلـا كـبـشـارـةـ عـيـسـىـ مـحـمـدـ . وـمـا دـعـاـوـنـاـ إـلـيـاـكـ إـلـىـ الـقـرـآنـ إـلـا كـدـعـائـكـ أـهـلـ التـورـةـ إـلـىـ الـإـنجـيلـ - (أـىـ أنـ الإـسـلامـ مـصـدـقـ لـمـا بـيـنـ يـدـيـهـ مـنـ كـتـابـ ، تـصـدـيقـ الـإـنجـيلـ لـمـا قـبـلـهـ مـنـ تـورـةـ) - وـلـسـنـاـ نـهـاكـ عـنـ دـيـنـ الـمـسـيحـ ، وـلـكـنـاـ نـأـمـرـكـ بـهـ»

فالفتح الإسلامي لمصر ، لم يكن بالنسبة لأجدادنا أقباط مصر ، أمراً بالتخلي عن دين المسيح ، وإنما كان دعوة للالتزام بحقيقة دين المسيح ! . ومن هنا فلم يكن غريباً أن يمثل هذا الفتح الإسلامي الإحياء الحقيقي لنصرانية الأقباط المصريين ! ..

لقد أعاد إليهم ، لأول مرة في تاريخ النصرانية المصرية حرية العقيدة ، وحرية الاختيار .. وبعد أن كانت النصرانية عقيدة مضطهدة ومطاردة وهاربة ، تقدم الضحايا والشهداء على امتداد

القرون الستة التي سبقت الفتح الإسلامي غمنت لأول مرة في تاريخها ، بالحرية والأمان .

وبعد أن كانت كنائسها وأدبيتها مفتسبة من قبل مسيحية الدولة الرومانية الاستعمارية - «مسيحية بولس» - ومذهبها الملكاني - حرر الفتح الإسلامي هذه الكنائس الوطنية وأعادها إلى الأقباط ، فكانت المرة الأولى التي يحرر فيها أهل دين مقدسات دين آخر ، لا ليحوزوها لأنفسهم ودينهـم ، وإنما ليبعدها إلى أبناء الدين المغايـرا .

فكان الإسلام ، بذلك ، هو الذي بنى كنائس مصر القبطية من جديد ..

وبعد أن كان البطريرك القبطي «بنيامين» - أو «أبوميامين» - (٦٥٩م) - وهو رمز النصرانية المصرية - ومذهبها اليعقوبي - هارباً في الصحاري ثلاثة عشر عاماً . منذ أن طلبـه هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) قيصر الروم ، ليقتله ، فلما هرب من هرقل ، أحرق هرقل أخاه «مينا» - عداوة لليعاقبة ، كما يقول المقريـزـي (٧٦٦ - ٨٤٥هـ ١٣٦٥ - ١٤٤١م) . جاء الفتح الإسلامي ، فأرسل عمرو بن العاص إلى «بنيامين» بمهد الأمان .. «وكتب عمرو لبنيامين» بطرق العيـاقـبة أماناً ، في سنة عشرين من الهجرة ، فسرّه ذلك ، وقدم على عمرو ، وجلس على كرسـي بـطـركـيـته بعد ما غاب عنه ثلاث عشرة سنة فغلبت العيـاقـبة على كنائـسـ مصر وديـاراتـها كلـها ، وانـفردـوا بها دون الملكـية .. <sup>(١)</sup>

---

(١) المقريـزـي (المخطـطـ) جـ٢ صـ٥٣٤ ، ٥٣٥ طـبـعة دـار التـعـرـيرـ . القـاهـرةـ

وهكذا كرس الفتح الإسلامي لمصر إحياءً وازدهارً وبقاءً أعرق الكنائس الوطنية للنصرانية على الإطلاق . . . وظل ذلك شاهد صدق على مثله الإسلام في مصر من الإحياء الديني ، لمطلق الدين . . . وليس فقط للدين وشريعة الإسلام .

وكما استواعبت الحضارة الإسلامية علوم مدرسة الإسكندرية ، التي بدأت ترجماتها العربية منذ القرن الهجري الأول ، بترجميه وقيادة ومشاركة الأمير الأموي خالد بن يزيد ( ٩٠ هـ ٧٠٨ م ) فلقد استواعبت هذه الحضارة الإسلامية كذلك ماسبقها من الموروث الديني ، والقيم الإيمانية ، بل وغداً أبناء هذه الموراث صناعاً وشركاء في هذه الحضارة الجديدة ، التي مثلت بالنسبة للمجتمع جامع الانتماء الحضاري الواحد ، الذي استواعب الموروث ، ووظفه في هذا البناء الحضاري الجديد . . .

فقبل الفتح الإسلامي لمصر ، كانت النصرانية المصرية مجرد «ثقافة مقهورة» ، محرومة من صناعة الحضارة الخاصة بها - فلا «سياسة» ولا «دولة» ولا «اقتصاد» ولا «مجتمع» من سمات الحضارة وسماتها - لأن «دنيا مصر ودولتها» - التي منها ولها وبها تبلور الحضارة - كانت «هلينية - رومانية - استعمارية» . فلما جاء الفتح الإسلامي ، تحررت مصر وتحررت نصرانيتها ، وغدت في ظلال الإسلام - مشاركة في صنع الحضارة العربية الإسلامية ، على قدم المساواة مع المسلمين . .

\* \* \*

أما على الجبهة الإسلامية - في البشر . . . والعلوم - فإن دور مصر ، في الإحياء الإسلامي والإبداع الحضاري والشراء العلمي

والتجدد الفكري والتميز في المنهاج ، قد جسدته آلاف المجلدات . وفي مقامنا هذا تكفي إشارات إلى معلم هى أشبه بالعناوين .

● إن مصر قد وصلت «توحيد» خاتمة الرسالات السماوية - الإسلام - بتوحيد رسالة نبي الله إدريس - التي عاصرت آدم أبى البشر ، وأولى الرسالات السماوية التي عرف التاريخ لها وطناً توأصلت فيه ومضات هذا التوحيد - فكانها قد أمسكت «خيط» التوحيد من طرفه ! ..

● وهي قد وصلت خاتمة الحضارات ذات الصبغة الإلهية - الحضارة الإسلامية - بأعرق الحضارات الإنسانية - الحضارة المصرية القدية - والتي بدأت ، هي الأخرى ، ذات صبغة دينية ، عندما جاءت تعاليم علومها المدنية علماً إليها بشهـة فى المصرىين نبي الله إدريس ، عليه السلام

● ومصر ، قد وقفت فى مقدمة شعوب الإسلام التي مثلت وتمثل الوسطية الإسلامية - التي هي خصيصة الإسلام وأمته ، كما أرادها الله ، سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .

● ففى الاختلافات المذهبية : اختارت مذهب جمهور الأمة ، مذهب أهل السنة والجماعة ، مع حب لآل البيت - آل بيت رسول الله ﷺ - الذين ظلموا - فشاعت فى أسمائهما أسماؤهم ، وقامت

(١) البقرة . ١٤٣ .

على أرصفها مزاراتهم - دون أن يشوب هذا الحب غلو الإفراط عند الذين تعصبو لآل البيت ، ولا شوائب غلو التغريط الذي أصاب من ناصبوهم العداء .. بل لقد ظل المسلمون المصريون يضعون شهداء أقباطها - في الصراع مع الرومان - ومزاراتهم في نفس مصاف الشهداء والقديسين والأولياء المسلمين! ..

● وفي المذاهب «الكلامية» - مذاهب أصول الدين - احتضنت مصر مذهب جمهور الأمة - أشعرية أهل السنة والجماعة - الذي حاول الجمع والتلقي بين عناصر الحق والعدل في مذاهب الإسلاميين .. وكان هذا هو حال جامعاتها العلمية - وهي مقدمتها الأزهر الشريف - تلك التي احتضنت كل تراث الأمة وجميع مذاهبها ، وتعاملت مع خلافاتها بأمانة ومسؤولية وأفق لا يعرف تحيزات المتعصبين ..

● وفي المذاهب الفقهية - مذاهب علم الفروع - اختارت مصر مذهب أئمة أهل السنة والجماعة ، وذلك دون أن تقف عند مذهب واحد منها ، حتى لا تنمو فيها بذور التعصب المذهبى .. لقد توزع جمهورها بين «المالكية» و «الشافعية» ، وهما أكثر لذاهب الفقهية جمعا - بالوسطية - بين «الرأي» و «الأثر» - مع واثر ، بين أهل مصر ، «للأحناف» «أهل الرأي» ، و «الحنابلة» ، «أهل الأثر» ، تعلن عن الوجود لهم والقبول بهم .

● وفي السياسة والدولة ، سرعان ما أصبحت مصر الإسلامية - بعد فترة نقاهتها من الاختطاب الروماني وقهقهة الحضاري - سرعان ما أصبحت «ولاية قائدة» و «إمارة رائدة» . ثم غدت «كرسي خلافة» و «عرش سلطنة» أغلب قرون تاريخ الإسلام ، وذلك بدءا

من الدولة الطولونية (٢٦٦ - ٢٩٢ هـ ٨٧٩ - ٩٠٥ م) فالدولة الإخشيدية (٣٣٣ - ٣٥٧ هـ ٩٣٥ - ٩٦٩ م) فالدولة الفاطمية (٢٩٧ - ٥٦٧ هـ ١١٧١ - ٩٠٩ م) فالدولة الأيوبية (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ ١١٧١ - ١٢٥٠ م) .. فعلى امتداد نحو سبعة قرون كانت مصر - في الدولة والسياسة - مقر الخلافة والسلطنة الجامحة لأجل أقطار وأقاليم دار الإسلام .

• وفي مواجهة التحديات الشرسة التي اقتحمت ديار الإسلام - وأغلب تاريخنا تحديات ! - حققت مصر في الممارسة والتطبيق نبوءة رسول الله ﷺ ، التي أوصى فيها باتخاذ الجندي الإسلامي من أهلها ، لأنهم في رباط إلى يوم القيمة .. «اتخذوا فيها جنداً كثيفاً ، فذلك الجندي خير أجناد الأرض ، لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيمة» .

صدقت مصر وحققت - في الممارسة والتطبيق .. وعبر تاريخ الإسلام - هذه النبوءة النبوية .. فكانت هي التي جيشت الجيوش وعيّنت الجهود وجهزت الكتاب وقادت الجهد وتقدّمت الصفوف لمقاتلة الغزوة الصليبية (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) والتحالف «الصليبي - المغولي» (٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م) - في «عين جالوت» ..

والاتفاق والتطويق البرتغالي للعالم الإسلامي - على شواطئ الهند - (٩١٠ - ١٥٠٤ م) .. والحملة الفرنسية (١٢١٦ - ١٢١٣ هـ) .. وحملة «فريزر» الانجليزية (١٢٢٢ - ١٧٩٨ م) .. والاحتلال الانجليزي (١٢٩٩ - ١٣٧٥ هـ ١٨٨٢ - ١٨٠٧ م) .. بل وقادت ومؤلت وساعدت حركات التحرر الوطني ضد كل ألوان وقوى الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة ، على

امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام ، وما حول وطن العروبة وعالم الإسلام .. ولازال حاملة لهذه المسؤولية القيادية في مواجهة تحدي «الشراكة الإمبريالية - الصهيونية» ، منذ قيام هذه «الشراكة» وحتى هذه اللحظات ..

● أما في الإبداع الحضاري .. فلقد روت مصر ثمرات الإسلام من جذور إيداعها الحضاري القديم فكان لها الإسهام المتميز في مختلف علوم الحضارة الإسلامية ، الشرعية منها والمدنية ، علوم المفاسد وعلوم الأدوات والآليات .. في علوم القرآن الكريم .. وعلوم السنة النبوية الشريفة .. وعلوم العربية وأدابها .. وفنون القول والتشقيق للنفس الإنسانية .. وعلوم الفقه الأكبر وأصول الدين .. وعلوم الفقه وأصوله .. وعلوم السيرة والملاحم والقصص ل التاريخ .. وعلوم البناء والتشييد وزخرفة الواقع وزينة المكان .. بعلوم الحرب والجهاد والقتال .. وعلوم السلم وتنمية العمارة في راعية والصناعة والتجارة والحرف التي تواصلت فيها إبداعات الشعب عبر العصور والقرون . إلى آخر كل ميادين الإبداع الحضاري ، التي تتزين بها النفس والبيئة ، ويصلح بها «المعاش» و «العاد» ! .

● بل إن مصر ، التي لم تعرف التسامح الديني في تاريخها السابق على الإسلام - عندما استعرت نيران الاضطهاد الديني بين أتباع «أمسون» وأنصار «إختناتون» .. وطاردت الوثنية المصرية طلائع النصرانية الواقفة إلى أرصفها .. وتواصلت الاضطهاد من الوثنية الرومانية - بل ومن نصرانيتها «الملاكانية» ضد النصرانية

القبطية «اليعقوبية» - حتى لقد سالت الدماء ، وتوالت مواكب الشهداء ، وهُدّمت المعابد والكنائس ، وأحرقت المكتبات ، وسُجّل الكهنة وال فلاسفة . . ! إن مصر هذه - التي اكتوت بنيران هذا التعصب الديني وذلك الاضطهاد المذهبى - سرعان ما كشف الإسلام عن معدنها الأصيل وخلقها النبيل ، وذلك عندما تدينى بالإسلام ، فتعلمت وتعلمت أن سنة الله في الخلق هي التعددية في الملل والديانات ، والاختلاف في المذاهب والفلسفات ، فاستبدلت السماحة بضيق الصدر والأفق ، واستعانت بالتعايش بين الديانات عن غرائز الواحديّة المذهبية والأثرة الدينية . . فقدت في العالمين مضمر الأمثال في القبور بالأخر الدينى والتعايش السلمى مع الخالفين . .

حدث ذلك لمصر ، منذ أن وعى معنى الكلمات التي قالها حامل كتاب رسول الله ﷺ إلى «المقوس» - حاطب بن أبي بلتعة - والتي تحاطب بها «المقوس» فقال :

- «ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمرك به»! . .

وزاد وعيها بهذا الموقف الإسلامي الجديد ، عندما قرأت وحفظت ورتلت في صلواتها قول الله سبحانه وتعالى :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ آمَنُوا بِاللهِ وَمَا لَمْ يَرَهُ وَكَتَبَهُ وَرَسُولُهُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ﴾ (١) ﴿لَكُلُّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ

(١) البقرة. ٢٨٥.

لِيَلُوْكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا  
 فَيُنَبَّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ<sup>(١)</sup> ﴿٤٦﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ  
 أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَّالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقُوكُمْ<sup>(٢)</sup> .  
 لقد بدأت مصر ، بذلك ، طوراً جديداً ، أحياها فيه الإسلام  
 سماحتها ، فقدت سماحتها هذه من فضائل عالم الإسلام .

\* \* \*

كل هذا صنعه الفتح الإسلامي بمصر .. وصنعته مصر للإحياء  
 الإسلامي .. فكان هذا الفتح - الذي نظر على ذكره الـ ١٤٠٠  
 (أربعة عشر قرناً على قيامه) - عيد ميلاد مصر الإسلامية ، وإذانا  
 بعودة كنانة الله في أرضه إلى موقعها القائد ومكانتها الرائدة في  
 صناعة الحضارة ، وقهر التحديات ، والتصدى للاستكبار  
 والاستغلال ، وتحرير ملكات وطاقات الإنسان .. واسترخاص كل  
 عال وبذل كل ثفيس في سبيل حمل هذه الأمانات .

وإذا كان هذا الفتح الإسلامي لمصر (سنة ٢٤ هـ ٦٤٠ م) قد  
 أعاد إلى مصر عافيتها الحضارية ، فقدت القائد والرائدة في سائر  
 ميادين الفتوح ، عبر تاريخ الإسلام .. وإذا كانت قد صنعت ذلك  
 بالإسلام ، وله ولأمة وحضارته وعالمه .. فإن أفضل احتفال  
 بذكرى هذا الفتح العظيم هو الذي يسدد خطوات مصر على هذا  
 الطريق .. طريق العزة بالإسلام .. وتحقيق العزة للإسلام  
 والمسلمين ..

(١) المائدة ٤٨

(٢) هود: ١١٨، ١٩٩

بل إننا مدعوون إلى تحقيق وتحرير التواريخ التي شهدت فيها مصر رسالات وصحوات ومصانات التوحيد الديني ، عبر تاريخها الطويل - منذ رسالة إدريس - عليه السلام - وحتى رسالة محمد ، خاتم الأنبياء - عليه الصلاة والسلام - . وعبر رسالة موسى وهارون .. والمسيح عيسى ابن مريم - عليهم الصلاة والسلام - . إننا مدعوون إلى تحقيق وتحرير تواريخ استقبال مصر لأنوار التوحيد الإلهي والشرائع السماوية ، لتكون هذه التواريخ أعياداً قومية يشارك في إحيائها كل المتقين بديانات التوحيد ، في هذا البلد الأم ، الذي حمل أهله هذه الأمانة عبر هذا التاريخ الطويل والعريق .

فلنحتفل بعيد ميلاد مصر الإسلامية .. الذي يقبل علينا مرور أربعة عشر قرنا على ذكره .. ولنحتفل بعيد ميلاد النصرانية في مصر - منذ القرن الميلادي الأول - ..

ولنحتفل بنصر الله توحيد موسى وهارون - عليهما السلام - على استبداد الفرعونية واستغلال القارونية .. ولتكن أعياد التوحيد الإلهي هي الأعياد الموحدة لكل المصريين .. بل ولكل العرب والمسلمين

## **المصادر**

- القرآن الكريم

- كتب المسنة النبوية.

- معاجم القرآن والمسنة:

- ١- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم - وضع محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الشعب . القاهرة .
- ٢- المفردات في غريب القرآن . للراغب الأصفهاني . طبعة دار التحرير . القاهرة .
- ٣- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي الشريف . وضع وينستك (أ.ي) وأخرين طبعة ليدن سنة ١٩٣٦ م - سنة ١٩٦٩

- الكتب الأخرى:

بن الأثير : (أسد الغابة في معرفة الصحابة) طبعة دار الشعب القاهرة .

ابن تفرى بردى . (النجوم الزاهرة) طبعة دار الكتب المصرية . القاهرة .

ابن جلبول : (طبقات الأطباء والحكماء) تحقيق : فؤاد سعيد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

ابن عبد الحكيم . (فتح مصر وأخبارها) طبعة ليден سنة ١٩٢٠ م .

- د. أحمد عثمان : (مخطوطات نجع حمادى ، أصوات جديدة على تاريخ المسيحية) - مجلة «الهلال» عدد يونية سنة ١٩٩٥ م
- الطبرى : (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار المعارف القاهرة .
- الطهطاوى (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى) دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م .
- د. عبد المنعم أبو بكر : (إنحناتون) طبعة القاهرة سنة ١٩٦١ م
- عبد الوهاب النجار : (قصص الأنبياء) طبعة دار إحياء التراث العربى . بيروت .
- فؤاد أشرام البستانى . محرر : (دائرة المعارف) طبعة بيروت سنة ١٩٥٦ م .
- د. فؤاد حسنين على : (التوراة الهريروغليفية) طبعة دار الكاتب العربى . القاهرة .
- ليونارد كوتربيل - مشرف - : (الموسوعة الأثرية العالمية) ترجمة : د. عبد القادر محمد ، د. زكى إسكندر . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧ م .
- د. محمد حميد الله - محقق - : (مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوى والخلافة الراشدة) طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦ م .
- محمد عبده (الأستاذ الإمام) : (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢ م .
- محمد مختار باشا المصرى : (التوقيفات الإلهامية فى مقارنة التواريخت) دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٨١ م .
- المقريزى : (الخطط) طبعة دار التحرير القاهرة .
- د. نعمات احمد فؤاد: صحيفة (الأهرام) - القاهرة - فى ٣٠ - ١٠ - ١٩٩٦ م .

الفهرس

- ٤ فجر التوحيد .. والسبوات - في مصر - قبل الإسلام
  - ١٣ مصر تحت القهر الديني والحضاري
  - ١٨ الفتح التحريري لمصر بالإسلام
  - ٤٢ فتح الإسكندرية
  - ٥٠ الإحياء الإسلامي لمصر .. والإحياء المصري للإسلام
  - ٦٢ المصادر



إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التبشير الغربي» هو تبشير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..  
فإن «التبشير الإسلامي» هو تبشير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تبشيرًا إسلامياً متميزاً .

ولتقديم هذا التبشير الإسلامي للقراء ، تتصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د. محمد عمارة • المستشار طارق البشري .
- د. حسن الشافعى • د. محمد سليم العوا .
- د. فهمي هويسدى • د. جمال الدين عطية .
- د. سيد دسوقي • د. كمال الدين إمام .

وغيرهم من المفكرين المسلمين ..

انه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر

2000 1 23  
الاهرام  
٢٠٠

**To: www.al-mostafa.com**